

الحرف الشعبية ومهن المهتمشين في مجتمع الحجاز خلال العصر المملوكي
(648-923 هـ/1250-1517 م)

Folk Crafts and Professions of Marginalized People in Hijaz Society during the Mamluk
Era (648-923 AH/1250-1517 AD)

إعداد الباحثة/ ريهام علي يحي الغامدي

دكتوراه في التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الملك عبد العزيز، المملكة العربية السعودية

Email: haf_reh@hotmail.com

ملخص الدراسة

ستحاول الباحثة في هذا البحث رصد أبرز المهن التي امتنها المهتمشون في مجتمع الحجاز خلال العصر المملوكي، ومن خلال تتبع تاريخ هذه المهن الشعبية سنستطيع التعرف على معاش هذه الشرائح المهمشة وطرائق كسب قوتهم ومدى اتصال هذه المهن بالحياة اليومية أو مع دوائر أخرى أكثر اتساعاً من الشرائح الاجتماعية. أعتمدت الدراسة على منهج البحث التاريخي العلمي للعثور على المادة العلمية واستخراجها من المصادر التاريخية والأدبية والجغرافية والتراث الشعبي والمراجع والوثائق والدوريات والرسائل العلمية التي تدور حول موضوع الدراسة، ومن ثم استخدام الأسلوب الوصفي والتحليلي مع استقراء واستنباط الحقيقة بكل حياد وموضوعية.

حيث اتضح أن المهتمشين في الحجاز خلال العصر المملوكي امتنوا العديد من المهن رغم كونها هامشية تميزت بالهشاشة وقدرتها الاقتصادية الضعيفة إلا أنها كانت عماد خفي من أعمدة المجتمع، ومظهر من مظاهر حيويته وكياناً اقتصادياً مهماً. فبدونهم لا يكون هناك مستهلك، وبذلك تنعدم التجارة وينعكس ذلك على الحالة الاقتصادية بشكل مباشر أو غير مباشر. كما اتضح أن العوام والمهتمشين استطاعوا مواجهة الواقع الاجتماعي والاقتصادي من خلال اقتصاد هامشي شكل لهم مورداً اقتصادياً حيوياً حماهم من شظف الحياة إلى حد ما، كما يمكن أن نميز شريحة أصحاب المهن كشريحة متميزة في طبقة المهتمشين كونهم لم يعتمدوا على الصدقات أو الهبات بل اعتمدوا على الكسب حتى ولو بأقل الموارد الممكنة، ولكن ما قدموه من حرف شعبية كانت عاملاً أساسياً من عوامل حيوية المجتمع وتنوعه وخصوصيته خلال العصر المملوكي. وتوصي الدراسة بضرورة اهتمام الجامعات والمراكز البحثية بدراسة التاريخ الاجتماعي، وإعادة قراءة التاريخ بما يتماشى مع التاريخ الجديد وفق رؤية اجتماعية وثقافية وذهنية وشعبية ليتسنى فهم حياة وأعمال وأفكار الطبقات العامة في المجتمع.

الكلمات المفتاحية: حرف، مهن، مهتمشون، الشعبية، الحجاز، العصر المملوكي

Folk Crafts and Professions of Marginalized People in Hijaz Society during the Mamluk Era (648-923 AH/1250-1517 AD)

Abstract

In this research, the researcher will attempt to detect the most prominent professions practiced by marginalized people in Hijaz society during the Mamluk era. By tracing the history of these popular professions, we will be able to identify the livelihood of these marginalized segments, the methods of earning their living, and the extent of these professions' connection with daily life or with other more extensive circles of social segments. The study relied on the scientific historical research method to find and extract scientific material from historical, literary, geographical, and folklore sources, references, documents, periodicals, and scientific dissertations that revolve around the subject of the study, and then used the descriptive and analytical method while extrapolating and extracting the truth with complete impartiality and objectivity.

It became clear that the marginalized people in Hijaz during the Mamluk era practiced many professions, despite them being marginal and characterized by fragility and weak economic capacity, but they were a hidden pillar of society, a manifestation of its vitality and an important economic entity. Without them, there would be no consumer, and thus there would be no trade, and this would be reflected in the economic situation directly or indirectly. It also became clear that the common people and the marginalized were able to face the social and economic reality through a marginal economy that constituted for them an economic life resource that protected them from the hardships of life to some extent. We can also distinguish the segment of professionals as a distinct segment in the marginalized class because they did not depend on charity or gifts, but rather relied on earning money. Even with the least possible resources, the popular crafts they provided were an essential factor in the vitality, diversity, and specificity of society during the Mamluk era. The study recommends the need for universities and research centers to pay attention to studying social history, and to reread history in line with the new history according to a social, cultural, mental and popular vision in order to understand the lives, works and ideas of the general classes in society.

Keywords: crafts, professions, marginalized people, popularity, Hijaz, Mamluk era

1. المقدمة:

يتناول هذا البحث الحرف الشعبية ومهن المهمشين في مجتمع الحجاز خلال العصر المملوكي⁽¹⁾ حيث يتميز التاريخ الاجتماعي بأنه أحد أكثر فروع الدراسة التاريخية تميزاً وخصوصية، فهو تاريخ الزخم والتفاعلات المتمثلة في الحياة اليومية للبشر، ومنها العادات والأفراح والأتراح، ويعتبر راصداً للطبقات الاجتماعية والتباينات بين الغنى والفقر، ويتمشى التاريخ الاجتماعي مع معاش الأفراد ومهنهم وطرائقهم في كسب قوت يومهم، فيمتزج التاريخ الاجتماعي بالتاريخ الاقتصادي مُشكلاً عقدة هذه الدراسة.

ويمكننا في هذا الصدد أن نقبس ما قاله ابن خلدون عن علاقة المهن بالمجتمع واقتصاده وبال عمران البشري ككل "من أن التاريخ خبر عن الاجتماع الإنساني الذي هو عمران العالم وما يعرض لطبيعة ذلك العمران من الأحوال مثل التوحش والتأنس...، وما ينتحله البشر بأعمالهم ومسايعهم من الكسب والمعاش والعلوم والصنائع وسائر ما يحدث من ذلك العمران بطبيعته من الأحوال..."⁽²⁾.

1.1. أهداف البحث:

- رصد أبرز المهن والحرف التي امتنها المهمشون في مجتمع الحجاز خلال العصر المملوكي.
- تتبع تاريخ هذه المهن الشعبية وتقديم أمثله لكل منها.
- التعرف على معاش هذه الشرائح المهمشة وطرائق كسب قوتهم ومدى اتصال هذه المهن بالحياة اليومية أو مع دوائر أخرى أكثر اتساعاً من الشرائح الاجتماعية.

2.1. أهمية البحث:

نجد أهمية الموضوع بأنها تقع ضمن دراسات التاريخ الجديد في محاولة لتقديم صورة عن التاريخ الاجتماعي في الحجاز من خلال عرض أهم المهن والحرف الشعبية للمهشمين بطريقة تبرز دورهم الهام كصانعي الواقع التاريخي في تلك الفترة.

3.1. منهج البحث:

تعتمد الدراسة على منهج البحث التاريخي العلمي للعثور على المادة العلمية واستخراجها من المصادر التاريخية والأدبية والجغرافية والتراث الشعبي والمراجع والوثائق والدوريات والرسائل العلمية التي تدور حول موضوع الدراسة، ومن ثم استخدام الأسلوب الوصفي والتحليلي مع استقراء واستنباط الحقيقة بكل حياد وموضوعية.

(1) ساهمت العديد من الدراسات السابقة بجهود هامة ساعدت الباحثة وغيرها من الباحثين في التأريخ للحجاز بصفة عامة فضلاً عن المهن الشعبية بصفة خاصة، وأبرز هذه الدراسات: أحمد هاشم أحمد بدرشيني: أوقاف الحرمين الشريفين في العصر المملوكي دراسة تاريخية حضارية وثائقية من واقع دور أوشيف القاهرة، رسالة دكتوراه كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، 1421 هـ / 2001 م وهي دراسة وثائقية متميزة؛ راشد سعد راشد القحطاني: أوقاف السلطان الأشرف شعبان على الحرمين الشريفين، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1414 هـ - 1994 م؛ محمد محمود خلف عنقرة: الحياة التجارية والاقتصادية في الحجاز في عصر دولة المماليك، الهيئة العامة للكتاب، الأردن، جامعة اليرموك، 2015 م؛ نوال بنت صالح الفايز: الأوضاع الاجتماعية للعلماء في مكة خلال العصر المملوكي (648 - 923 هـ / 1250 - 1517)، جامعة القصيم، 1436 - 1437 هـ؛ شريفة بنت صالح المنديل: حرف العلماء ومهنتهم في مكة المكرمة خلال العصر المملوكي، مجلة العلوم العربية والإنسانية، جامعة القصيم، مج8، عدد4، 2015 م.

(2) ابن خلدون: المقدمة، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر للطباعة والتوزيع، دار الفكر العربي، بيروت، دبت ص 46.

يأتي مصطلح الحرفة لغوياً بمعنى الصناعة وهي مشتقة من الاحتراف والاكْتساب، فيقال فلان صانع أي حريفي أو معاملي (1)، فهو الذي يحرف لعياله بمعنى يكتسب من ها هنا وها هنا (2)، أما معنى حرفة اصطلاحياً، فقد جاءت بمعنى الطعمة والصناعة التي يرتزق بها الشخص، وهي جهة الكسب (فالمحرف والمحترف) لفظتان تخصان الصناعة اليدوية الحاذقة، و(المحترف) هو صاحب الحرفة (3)، (فالحرفي) هو الشخص الذي يكسب عمله في حرفة بصفة مستمرة ومنظمة، فيقال حرفته كذا دأبه وديده (4).

وبخصوص كلمة المهن في اللغة: هي من مهن يمهن يمتهن مهناً (5)، والمهنة في اللغة هي الخدمة، والمهنة هو الخادم (6)، أما معناها في الاصطلاح: فتأتي بمعنى العمل الذي يحتاج إلى خبرة ومهارة وحذق في ممارسته، فيقال ما مهنتك؟ بمعنى ما عمالك (7).

وكان تاريخ الحرفيين وغيرهم من الفئات المهمشة يدخل في إطار المسكوت عنه واللامفكر فيه في معظم الكتابات التاريخية الإسلامية (8)، رغم عظم دورهم الاجتماعي والسياسي والديني، فقد عاش معظم الحرفيين في مجتمع كانت ظروفه السياسية والاجتماعية تفضي إلى ضيق أحوالهم المادية، لهذا كانوا كثيراً ما يساهمون بدور نشط في الحركات الاجتماعية التي تقوم ضد السلطة الحاكمة، فهؤلاء كانوا يتطلعون لتحسين أحوالهم الحياتية والمعيشية (9)، ومن الناحية التنظيمية فقد خضع الصانع وأهل الحرف والمهن لنظام النقابات، فكان أفراد كل حرفة ينتظمون تحت بوتقة نقابة خاصة بهم لها نظام وقانون ثابت ومحدد، ولكل حرفة رئيس أو شيخ يتم تعيينه بالاختيار أو الانتخاب، وذلك بحضور المحتسب وموافقته، وكانت العادة أن يندرج الصانع في الحرفة كصبي صغير، ثم يترقى إلى عامل أو صانع حتى يصبح معلماً، وينتهي به إلى الرئاسة (10).

2. الإطار النظري:

فيما يلي يمكننا أن نستعرض أهم مهن وحرف العوام والمهمشين في الحجاز:

حرف الطعام:

ثمة إشكالية هامة تتعلق بحرف العوام والمهمشين تدور في معظمها حول الطعام، فمن أهم الحرف التي امتنها المهمشون تلك التي تتعلق بالأطعمة والغذاء كونها أكثر ارتباطاً بهم، فهي الفئة التي لا تشغلها الإقطاعات ولا الملكيات بل الطعام، ويعتبر ذلك الأساس في فهم تحركاتهم، ومن بين تلك الحرف حرفة (الطحان) ويعرف بالذي يطحن الغلال، ويقال له الدقاق (11)، وحرفة

(1) الرازي: مختار الصحاح، مكتبة لبنان، د.م، 1986هـ، ص56.

(2) لويس معلوف: المنجد في اللغة والأدب والعلوم، الطبعة الكاثوليكية، بيروت، د.ت، 19، ص128.

(3) لويس معلوف: المنجد في اللغة، ص128.

(4) إبراهيم أنيس: معجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، د.م، 1435هـ/2004م، ط4، ص167.

(5) الفراهيدي: العين، ترتيب: د. عبد الحميد هندأوي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1424هـ/2003م، ط1، ج4، ص171.

(6) إسماعيل بن حماد جوهري: الصحاح تاج اللغة، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، 1399هـ/1979م، ط2، ص2209.

(7) إبراهيم أنيس: معجم الوسيط، ص890.

(8) محمود إسماعيل: المهمشون في التاريخ الإسلامي، دار رؤية، القاهرة، 2004م، ص7.

(9) نافذ سويد: الحرفيون ودورهم التاريخي في تطور المدينة العربية الإسلامية، بحث منشور في مجلة التراث العربي - اتحاد الكتاب العرب، دمشق، العدد 76 - السنة 19، تموز - يوليو 1999م، ربيع الأول 1420هـ، ص158.

(10) نافذ سويد: الحرفيون ودورهم التاريخي، ص154. سعيد عاشور: العصر المماليكي في مصر والشام، دار النهضة العربية، القاهرة، 1978م، ط2، ص296.

(11) حسن باشا: الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، دار النهضة العربية، القاهرة، 1966م، ج2، ص739.

(الخباز)، ويرأس الصناعات الذين يعملون بالطاحونة رجل عرف باسم (المدولب) (1)، وكان يسمى أيضا بالفران حتى خطوا الناس بين الفران والخباز، وأصبح صاحب حرفة واحدة (2)، وفي حقيقة الأمر، وجدت هناك أنواع من الخبز في الحجاز منها طحين القمح (الحنطة) أو الشعير أو طحن الذرة، ووجدت أنواع من الخبز كخبز الغليظ والخبز الرقيق (3)، ويذكر أن صبيان الأفران كانوا يملكون على البيوت لأخذ العجين ليتم خبزه وإعادته إلى ربان البيوت (4)، وقد أشار ابن بطوطة لإشكالية علاقة المهمشين بالأفران وكثرتها في مكة المكرمة بقوله "أكثر المساكن منقطعين يكونون بالأفران، حيث يطبخ الناس أخبازهم" (5)، وكان المحتسب يقوم باختبار الدقيق لمحاربة الغش، ومن ذلك خلط دقيق الفول أو غيره، حتى يزيد في الوزن، ومن يفعل ذلك يتعرض للعقوبة، وتعتبر وفرة الخبز مؤشراً لاستقرار أحوال المهمشين المعيشية (6)، ومن المهمشين الخبازين والفرانين عمر بن مقبل الخباز (7)، وعلي الخباز الضرير المقرئ (8)، وعلي البغدادي الفران المتوفى سنة 867هـ/1462م بمضى (9).

ومن الحرف التي تتعلق بالطعام حرفة (الدقاقون) ومهمتهم تنظيف الغبار من الغلة قبل طحنها، ووجدت كذلك حرفة (الحطابة) وقد استخدم الحطب في عمليات الطبخ والتدفئة (10). ومن الحرف المتعلقة بالأواني الشعابية وصاحبها يقوم بإصلاح الأواني ذات الشقوق، فكان عوض بن عبد الله العراقي يتقوت بالشعابية وبيته على طرف جبل فاضح عند سوق الرقيق (11). ومن الحرف المهمة التي مارسها الطبقات الشعبية في الحجاز في العصر المملوكي حرفة (الطباخة)، فهناك طبابخات وطباخون يقومون بطبخ اللانم الكبيرة في المناسبات (12). ومن الحرف أيضا التي تتعلق بالطعام، والتي كان لها انتشار واسع في الحجاز حرفة (الجزارة) أو بما يسمى في العصر المملوكي حرفة (القصابية)، فقد وضع المحتسب ضوابط عديدة لمن يتولى هذه المهنة، فكان لا يتولاها إلا مسلماً بالغاً عاقلاً ثقة عالمياً بأحكامه، وكان المحتسب يراقب الجزارين وما يذبحونه لإبعاد ذبحهم الماشية الهزيلة، وقد عرفوا بأنهم أناس متينون البنية حادوا الطباع تربط فيما بينهم تقاليد قوية (13)، ومن أهم الحيوانات التي قام الجزارون بذبحها الماعز والأغنام (14). ومن أشهرهم علي بن حسب الله الجزار (15)، وفي إحدى الحوادث أن جمال بمكة عنده جمل باعه للجزار،

(2) محسن الوقاد: الطبقات الشعبية في القاهرة، سلسلة تاريخ المصريين 152، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1999م، ص 132.

(3) قاسم عبده قاسم: الأسواق المصرية في عصر سلاطين المماليك، عين للدراسات والبحوث، القاهرة، 2014 م، ص 48.

(4) جمال عامر: الحرف والصناعات اليدوية في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام، رسالة ماجستير غير منشورة، المعهد العالي لحضارات الشرق الأدنى القديم، جامعة الزقازيق، 2005 م، ص 98.

(5) عواطف محمد يوسف نواب: بعض الجوانب الحضارية في مكة المكرمة منذ القرن الرابع عشر الهجري حتى وقتنا الحاضر دراسة تحليلية، الدرية مج 9، عدد 34، 35، 2006م، ص 385.

(6) تحفة النظر في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، المطبعة الأزهرية، القاهرة، 1928م، ط 1، ص 162.

(7) محسن الوقاد: الطبقات الشعبية، ص 132-133.

(8) ابن فهد: إتحاف الوري بأخبار أم القرى، تحقيق فهد محمد شلتوت، جامعة أم القرى، السعودية مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1403 هـ، ط 1، ج 4، ص 387.

(9) السخاوي: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار الجبل، بيروت، 1992م، ج 6، ص 61.

(10) ابن فهد: إتحاف الوري، ج 4، ص 451؛ السخاوي: الضوء اللامع، ج 6، ص 60.

(11) عبد الرحمن المديرس: المدينة المنورة في العصر المملوكي، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، 1422هـ/2001م، ص 101.

(12) عبد العزيز ابن فهد: بلوغ القرى في ذيل إتحاف الوري بأخبار أم القرى، دار القاهرة، القاهرة، 1425هـ/2005م، ج 1، ص 193-194.

(13) جمال عامر: الحرف والصناعات اليدوية قبل الإسلام، ص 99.

(14) محسن الوقاد: الطبقات الشعبية، ص 136.

(15) جمال عامر: الحرف والصناعات اليدوية قبل الإسلام، ص 99.

(16) ابن فهد: إتحاف الوري، ج 4، ص 642؛ السخاوي: الضوء اللامع، ج 5، ص 210.

فربطه الجزار بالمجزرة، فانفلت ودخل المسجد الحرام بعد صلاة العشاء، فقام الناس لإخراجه فعجزوا فيه، وأخبروا ذلك ابن ظهيرة، فأمر بحفظ المطاف منه، فباتوا يحرسونه ويمنعونه من المطاف، فهجم وطاف بالبيت ثلاثة أشواط، ثم ذهب إلى جهة مقام إبراهيم وسقط ميتاً، فأخرج وحفر له حفرة ودفن فيها⁽¹⁾، وكان الكراء يأخذ مائة دينار في كراء جماله⁽²⁾.

السقاة:

ومن الحرف التي مارستها أفقر الطبقات الشعبية من المهمشين حرفة (السقاين أو السقاية) وتعتبر ذات أهمية في الحياة اليومية حيث حرص المحتسبون على وجود السقاين في الحجاز لتزويد المنازل بمياه الشرب⁽³⁾. وكانوا يعتمدون على حمل القرب المصنوعة من الجلد واستخدامهم الحمير والجمال لنقل المياه⁽⁴⁾.

وقد خصص السلطان الأشرف شعبان في حجة وفقاً على الحرمين الشريفين حيث يكون للحرم المكي عدداً من السقاين لسقي الناس في البيت الحرام، كما زاد في مخصصاتهم في مقابل ثمن الأدوات التي كانوا يستخدمونها في استخراج الماء أو نقله وحمله⁽⁵⁾، ومن هؤلاء الشيخ محمد بن مصلح السقاء بالمسجد الحرام⁽⁶⁾، وعبد الكافي محمد بن حسن السقاء المتوفى سنة 846هـ/1442م⁽⁷⁾، أبو بكر بن علي الهندي السقاء بالحرم الشريف⁽⁸⁾، وأحمد بن سالم بن ياقوت المكي المؤذن، وكان إليه أمر زمزم وسقاية العباس⁽⁹⁾.

كما خصص السلطان الأشرف شعبان سقاء لبئر زمزم يسقي الماء منها لسائر الناس أجمعين، وحدد راتبه 360 درهما سنوياً بواقع 30 درهما شهرياً كما حدد ما يصرف له على مصالح البئر كثمن دلاء وسلب وبكر وغيرها مائتي درهم سنوياً، فيكون مجموع ما كان مخصصاً لبئر زمزم وسقائها 560 درهما سنوياً⁽¹⁰⁾، وممن تولاهما عبد العزيز بن عبد السلام المكي، ويعرف بالزمزمي نسبة لبئر زمزم ونظم في المديح مات بمكة سنة 892هـ/1486م⁽¹¹⁾.

كما خصص السلطان الأشرف شعبان أيضاً اثنين من السقاين يسقيان في الحرم المكي، ووزع العمل بينهما، فأحدهما يعمل بالنهاية والآخر بالليل، كما حددت حجة الوقف مكان عملهما فيما بين المقام الشريف والكعبة الشريفة يسقيان الطائفين بالكعبة وغيرها،

(4) ابن حجر العسقلاني: إنشاء الغمر بأنبياء الغمر، تحقيق: حسن حبشي، المجلس الأعلى للثقافة الإسلامية، القاهرة، 2011م، ج3، ص16؛ السخاوي: وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام، تحقيق: بشار عواد معروف وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1995م، ج2، ص425-426؛ الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان، طرابلس، 1974م، ج2، ص524-525؛ ابن شاهين الحنفي: نيل الأمل في ذيل الدول، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، بيروت، 2002م، ج3، ص262؛ ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق: محمد مصطفى زيادة، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2008م، ط3، ج2، ص10.

(5) ابن فهد: إتحاف الوري، ج4، ص237-238.

(6) محمد جمعه موسى: الحسبة على البينة بمصر وبلاد الحرمين الشريفين عصر سلاطين المماليك، دار أمجد للنشر والتوزيع، عمان، 2017م، ص201.

(7) سماح علي العمري: المجتمع والاقتصاد في الحجاز في العهد العثماني الثاني، مجلة القلزم للدراسات التاريخية والحضارية، العدد6، 1442هـ/2021م، ص165.

(8) راشد القحطاني: أوقاف السلطان الأشرف شعبان، ص103.

(9) ابن فهد: إتحاف الوري، ج4، ص159؛ السخاوي: الضوء اللامع، ج9، ص51.

(10) ابن فهد: إتحاف الوري، ج4، ص205؛ السخاوي: الضوء اللامع، ج4، ص304.

(11) ابن فهد: إتحاف الوري، ج4، ص502؛ السخاوي: الضوء اللامع، ج11، ص61.

(12) ابن حجر العسقلاني: إنبياء الغمر، ج1، ص135.

(1) راشد القحطاني: أوقاف السلطان الأشرف شعبان، ص104.

(2) السخاوي: الضوء اللامع، ج4، ص219.

وقررت لهما ثمن الماء وأجرة الماعون، وأجرتهما ألف وخمسمائة درهم سنويا بواقع سبعمائة وخمسين درهما لكل سقاء منهما، وهو أجر كبير مقارنة بسقاء بئر زمزم الذي خصص له هو ومصالحه مبلغ 560 درهما، وقرر السلطان الأشرف شعبان تعيين رجل يسقي الماء العذب في كل يوم بالمسجد النبوي الشريف، وجعل راتبه ستمائة درهم بما في ذلك ثمن الماء العذب وثمان الدوايق وأجرة تسبيل الماء، وحددت الحجة لمن يسقى الماء طول النهار بمكة المكرمة مبلغ 600 درهم مقابل ثمن الماء العذب والماعون وأجرة تسبيله، أي بواقع خمسين درهما شهريا، كما حدد السلطان الأشرف شعبان وجود ساقى يسقى الماء العذب للمرضى بالبيمارستان وحدد أجره بمبلغ 760 درهما نقرة سنويا⁽¹⁾.

ويذكر أنه في سنة 850هـ/1446م حج وزير المكيين بن عثمان ومعه مال كثير فرقه على المستحقين من أهل الحرمين الشريفين، وأذاب في فسقية العباس سكر مصري وقطارين⁽²⁾ عسل نحل وملأ قرب السقائين، فخرجوا بذلك إلى المسعى وسقوا الحاج⁽³⁾.

حرفة البناء:

تعتبر حرفة البناء من أهم الحرف التي امتهنتها بعض الفئات المهمشة وتكمن أهميتها في بناء المساكن والتحصينات، فكانت لأغراض دينية، أو عسكرية، أو سكنية يدخل ضمنها بناء المدارس والبيمارستانات، وأيضا حفر الآبار والأسبلة⁽⁴⁾، ومن المعروف أن تلك البناءات شُيدت بأيد مجموعة من العمال المهرة منهم البنائين والقطاعين والصقالين والمرخمين والحجارين والمبيضين والدهانين والجباسين والجبارين بالإضافة للنجارين والنشارين. وكان يساعد البنائين طائفة من العمال عرفوا باسم (الرقاصين) أو (رقاصي البنائين)⁽⁵⁾، ومن المهتمين النجارين المعلم أحمد الشامي النجار بمكة المتوفى سنة 860هـ/1455م⁽⁶⁾، وعمر بن محمد الحموي نزيل مكة نجارا وتوفي بها سنة 873هـ/1468م⁽⁷⁾.

وكان يتم تعيين أحد الأشخاص لمراقبة العمل عرف باسم (الشاد) أو بما يسمى (شاد العمائر) وعليه تقع مسؤولية جمع العمال تحت إمرته ممن يتولون عملية البناء، ومن مسؤولياته الرفق بالبنائين والصناع، وألا يحمل احداً فوق طاقته، وأن يسمح لهم بالأكل والصلاة⁽⁸⁾، وكان العمال من بينهم الصبي والحرفي والمعلم. وكثيراً ما تعرض العمال لأكل الحقوق أو المعاملة القاسية⁽⁹⁾، فمن بعض النواب من قسي على العمال، فعندما تولى حسن الكردي رئاسة الجيش في البحر الأحمر لصد هجمات البرتغال عمل على إنشاء سور لصددها، وفرض على الأهالي والعامة المساعدة على حمل الطين والحجر لإتمام بناء السور في أقل من عام، وكان قد بالغ في قسوته على أحد البنائين عندما تأخر عن مواعده، فبنى عليه السور، وتركه يموت في جوفه⁽¹⁰⁾.

(3) راشد القحطاني: أوقاف السلطان الأشرف شعبان، ص104، 113، 122.

(4) القطار: يساوي 100 رطل مصري. ابن الأخوة: معالم القرية في أحكام الحسبة، مكتبة المتنبى، القاهرة، دت، ص80؛ إبراهيم طرخان: النظم الإقطاعية في الشرق الأوسط في العصور الوسطى، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1968م، ص518.

(5) ابن فهد: إتحاف الوري، ج4، ص262.

(6) محمد العنقرة: الحياة الاقتصادية في الحجاز في عصر سلاطين المماليك، ص203؛ قاسم عبده، الأسواق المصرية في عصر سلاطين المماليك، ص65؛ شريفة منديل: حرف العلماء ومهنتهم في مكة المكرمة خلال العصر المملوكي، ص1988.

(7) ابن الأخوة: معالم القرية، ص343؛ قاسم عبده قاسم: الأسواق المصرية في عصر سلاطين المماليك، ص61.

(8) ابن فهد: إتحاف الوري، ج4، ص368؛ السخاوي: الضوء اللامع، ج2، ص263.

(9) ابن فهد: إتحاف الوري، ج4، ص495؛ السخاوي: الضوء اللامع، ج6، ص124.

(10) السبكي: معيد النعم ومبيد النقم، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، 1407هـ/1986م، ط1، ص100؛ حسن باشا: الفنون الإسلامية، ج2، ص617.

(2) قاسم عبده: الأسواق المصرية في عصر سلاطين المماليك، ص66.

(3) أحمد السباعي: تاريخ مكة، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1419هـ/1999م، ص360-361.

وترتبط بحرفة البناء حرف أخرى منها (الحجار أو الحجارين)، وهو من يقوم بعملية تقطيع الأحجار واستخدامها في التعمير والبناء (1)، وكان جل العمال في هذه المهنة من الوافدين المهمشين الذين أتوا من البلدان الإسلامية خصوصاً مصر (2)، كذلك وجد (الدهان أو الدهانين)، وهو الذي يقوم بطلي أو دهن الجدران والأسقف وزخرفتها (3)، ومن الذين عملوا بالدهانة عبدالله بن إبراهيم المكي الدهان ويعرف بالزعلي، تكسب بدهن السقوف ونحوها وبالعمر أيام الموسم (4).

ووجد هناك أيضاً عمال (الطين) أو بما يسمى (الطيان)، وهو الذي يغطي الجدران بطبقة من الطين تمهيداً لطلائها، ومن الممكن أن يكون هناك اختلاف على حسب كتب الحسبة بين الطيان والدهان، فالطيان كان يعمل في بيوت عامة الناس، أما الدهان فكان يعمل على طلاء الأبنية المعمارية (5).

ومن أشهر الصناع والبنائين من المهمشين "فاضل السمي" البناء مات بمكة سنة 1439/843م (6)، والمعلم "محمد بن أبي بكر" البناء المتوفى سنة 1443/847م (7)، و"أحمد بن راشد التيمي" البناء (8)، و"سعد بن أحمد بن علي المكي" البناء بمكة (9)، و"علي بن زيد الصناني" المكي البناء (10)، و"أحمد بن سليمان البناء" (11).

ويذكر أنه عندما أخذ الشيخ الولي المعروف بالرعب الصناع لتسقيف مسجد قصر بعض الخشب عن بلوغ الجدار، فلما رأى ذلك قال لهم: اقعدوا تغدوا، فلما فرغوا من الغداء رجعوا إلى التسقيف، فوجدوا تلك الخشبة قد طالت، ووصلت إلى موضعها من الجدار (12). ويشار أيضاً بأن السيد بركات (13) استعان ببعض الفقراء في حمل المؤن لإحدى العماثر (14).

وكذلك سار القاضي محب الدين البكري المصري مع الرجبية إلى مكة، فرأى وهو يطوف بالبيت بعض الصناع من المرخمين - أي عمال الرخام - يحاول قلع لوح رخام من الحجر وهو في غاية الثبات ليلصقه على كيفية أخرى فأنكر عليه، وتوجه القاضي إلى شاد العمارة سودون المحمدي، وأمر بإحضاره فأهانته وضربه تحت رجليه عصيات، ثم أراد أن يركبه حماراً ويطوف به، فقبل له إنه بريء مما اتهمته به، وإنه كان حين ورود الكتاب مقيماً بالقاهرة، فندم على ذلك ولقيه في الطواف فاستحله (15).

(4) جمال عامر: الحرف والمهن قبل الإسلام، ص 108.

(5) نادية العدواني: وظائف علماء الحجاز ومهنتهم وحرفهم وأثرها في الحياة العامة خلال العصر المملوكي (648-923هـ/1250-1517م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1441هـ/2020م، ص 86.

(6) حسن الباشا: الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، دار النهضة العربية، القاهرة، 1966م، ج 2، ص 517.

(7) السخاوي: الضوء اللامع، ج 5، ص 2.

(8) قاسم عبده: الأسواق المصرية عصر سلاطين المماليك، ص 66.

(9) السخاوي: الضوء اللامع، ج 6، ص 164.

(10) ابن فهد: إتحاف الوري، ج 4، ص 225.

(11) ابن فهد: إتحاف الوري، ج 4، ص 333؛ السخاوي: الضوء اللامع، ج 1، ص 298.

(12) السخاوي: الضوء اللامع، ج 3، ص 247.

(13) السخاوي: الضوء اللامع، ج 5، ص 222.

(14) ابن فهد: إتحاف الوري، ج 4، ص 389؛ السخاوي: الضوء اللامع، ج 1، ص 308.

(1) الياضي: مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، دار الكتب العلمية، بيروت، دت، ج 4، ص 264 - 265.

(2) الشريف بركات: هو الشريف زين الدين أبو زهير بركات بن حسن بن عجلان بن رمثة... بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب، ولد سنة 801/1398م، ولي إمارة مكة شريفاً لأبيه مع أخيه أحمد سنة 810هـ/1407م، ثم استقل بها بعد موت أبيه سنة 829هـ/1425م إلى أن عزله السلطان الظاهر جقمق بأخيه علي بن حسن سنة 845هـ/1441م، ثم أعيد لها سنة 850هـ/1442م، وتوفي سنة 859هـ/1454م. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، طبعة دار الكتب، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة، دت، ج 16، ص 178-179؛ السخاوي: الضوء اللامع، ج 3، ص 13 - 14.

(3) عبد القادر الشافعي: السلام والعدة في تاريخ بندر جدة، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، مصر، دت، ص 42.

(4) ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر، ج 4، ص 146.

ومن الحوادث المهمة في تلك الفترة أن عمر بازان نائب الأمير جوبان نائب السلطنة بالعراق عين عرفة سنة 726هـ/1325م حيث كان الناس في جهد كبير لقلّة المياه في مكة حيث كانت الراوية تباع في هذه السنة بعشرة دراهم، فأراد بازان عمل الخير في مكة، فدلّه البعض على عين كانت تجري ثم تعطلت فندب البعض، وأعطاهم خمسين ألف دينار وجهزهم، ونادى بمكة في العمال من أراد العمل في عين عرفة فله كل يوم ثلاثة دراهم، فهرع إليه العمال وعاملهم معاملة حسنة دون سخرة، فجاء إليه عدد كبير من العرب، وعمل حتى النساء، وكانت مدة العمل بها أربعة أشهر، وصرف أهل مكة إلى مزارع الخضر (1).

وقد عانى أحد الحفارين في هذه العين، فخرج من تحت الأرض مصروعاً لا يتكلم، وعندما أفاق ظل يتحدث عن الظلم، فسمعه الشيخ نجم الدين خليفة بن محمود الكيلاني يقول "يا مسلمين لا يحل لكم ان تظلمونا" فرد عليه الشيخ نجم الدين خليفة بن محمود الكيلاني "وبأي شيء ظلمناكم؟"، فرد عليه "نحن سكان هذه الأرض، ولا والله ما فيهم مسلم غيري، وقد تركتهم ورائي مسلسلين وإلا كنتم لقيتم منهم شرا، وقد أرسلوني إليكم يقولون: لا ندعكم تمرّون بهذا الماء في أرضنا حتى تبذلوا لنا حقنا وهو ثور تأخذونه وتزبنونه بأعظم زينة، وتلبسونه وتزفونه من داخل مكة حتى تنتهوا به إلى هنا فاذبحوه، ثم اطرحوا لنا دمه وأطرافه ورأسه في بئر عبد الصمد، وشأنكم بباقيهم، وإلا فلا ندع الماء يجري في هذه الأرض أبداً" وبالفعل فعلوا ذلك الحلم، فلم يكن إلا طرح الماء وصارت مورداً (2).

وفي سنة 827هـ/1423م أحضر شيخ الكعبة الشريفة الشيخ جمال الدين محمد الشيباني بالصناع لتجديد الأسطوانة بها، وكشفوا الأسطوانة من تحتها، وكانت تحت الحائر، والحائر ليس متكئاً عليها وإنما هي قائمة صورة للزينة، فجاءوا بسلم بطول البيت، وردوها إلى مكانها برفق (3).

وفي سنة 834هـ/1430م أمر السلطان الأشرف برسباي بإصلاح المياه التي بين القاهرة ومكة وحفر الآبار في المواضع المعطشة، فحفر الكثير من البناة والصناع والفعلة والحجارين بئرين في طريق الحج المصري (4)، وفي سنة 846هـ/1442م استدعت الفعلة لعمارة عين خليص، فاشتغلوا بها وصرف لهم مائة درهم (5).

الحرف اليدوية:

امتنت طبقات العوام والمهمشين في الحجاز العديد من الحرف اليدوية، وبالطبع هذه الحرف لا تحتاج تمويلاً كبيراً أو رؤوس أموال ضخمة، فهي تتناسب بشكل واضح مع ماهية التكوين الاقتصادي لهم، وتتناسب مع أسلوب معيشتهم، ومنها حرفة (الخواصين) وهي حرفة صنع الحصر والسلال والسرر والأطباق وغيرها من سعف النخل لاستخدامها لأغراض عديدة مرتبطة

(5) المقرئزي: **السلوك لمعرفة دول الملوك**، ج1، ج2 تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2007م، ط2، ج2، ق1، ص274؛ ابن فهد: **إتحاف الوري**، ج3، ص182.

(1) المقرئزي: **السلوك**، ج2، ق1، ص274-275؛ ابن فهد: **إتحاف الوري**، ج3، ص184، 183؛ الفاسي: **العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين**، تحقيق العلمية، محمد حامد الفقي، فؤاد سيد، مؤسسة الرسالة، 1986 م، ج4، ص322، 321؛ **شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام**، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2007 م، ط1، ج1، ص567-568؛ الجزيري: **الدرر الغراند المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة**، دار الكتب العلمية دبت، ج1، ص394-395.

(2) ابن فهد: **إتحاف الوري**، ج3، ص597 - 598.

(3) ابن فهد: **إتحاف الوري**، ج4، ص55.

(4) ابن فهد: **إتحاف الوري**، ج4، ص195 - 196.

بالحياة اليومية⁽¹⁾، ومن الحرف الأخرى أيضاً حرف (الفاخرين) الذين يصنعون الأواني الفخارية من أكواب وصحون وغيرها لاستخدامها في تقديم الطعام والشراب⁽²⁾. وكانت جماعة منهم تتبع الفخار في الدكاكين حتى أحدثوا مساطب صغار لهم وقاموا بتوسيعها حتى صار عرضها ما يقارب الثلاثة أذرع⁽³⁾.

الفلاحة والفلاحون:

تعد الزراعة وما يرتبط بها من فلاحة الأرض إحدى الحرف الهامة المشكلة لاقتصاديات بلاد الحجاز، فكان أهلها يعتمدون على مياه الأمطار في زراعة أرضهم⁽⁴⁾، فالزراعة في معظم بلاد الحجاز تعتمد على الأمطار كمصدر رئيسي لتقرير المواسم الزراعية، فالجفاف يؤدي إلى القضاء على الزراعة وبالتالي تذبذبية إنتاج الأراضي الزراعية التي تؤدي إلى ارتفاع الأسعار، وهلاك كثير من الفلاحين والمزارع⁽⁵⁾.

ووجدت هناك مصادر أخرى في بلاد الحجاز أدت إلى انتعاش الزراعة التي اعتمد عليها الفلاح، اولاهما الآبار خاصة التي وجدت في المدينة المنورة، فقد ذكر ابن حوقل "ومياه نخيلهم وزروعهم من الآبار يسقون بها العبيد"⁽⁶⁾، ومن تلك الآبار المشهورة في المدينة بئر أريس⁽⁷⁾، وبئر رومه⁽⁸⁾، وبئر البضة⁽⁹⁾، أما المصدر الآخر فهو مياه العيون، ومن أشهرها في المدينة عين الأزرق⁽¹⁰⁾، ووجدت أيضا عيون عذبة غزيرة في مدينة ينبع⁽¹¹⁾، وتصدرت الأودية التي مارس أهلها حرفة الزراعة مصدرا رئيسياً للمنتجات الزراعية، ومن أشهر الأودية وادي مر الظهران⁽¹²⁾.

ومن زاوية أخرى تعرضت الزراعة في بلاد الحجاز للتدهور في كثير من الأحيان؛ بسبب انحباس الأمطار أو سقوطها بكميات وفيرة في بعض الأعوام ما أدى إلى حصول فيضانات وسيول بالإضافة إلى حدوث الجفاف الذي تسبب في إتلاف المزارع

(5) أحمد العمري: الصنائع والمهن في نجد والحجاز في صدر الإسلام والعصر الأموي، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 1433هـ/ 2012م، ط1، ص229.

(6) ثروت الحجازي: الحرف اليدوية في مكة المكرمة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1414هـ، ج2، ص123.

(7) ابن فهد: تحاف الوري، ج3، ص529-530.

(8) محمد العناقرة: الحياة الاقتصادية في الحجاز في عصر دولة المماليك، ص171.

(1) سعدية الزهراني: الفنات الشعبية في بلاد الشام خلال العصر المملوكي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1439هـ/ 2017م، ص158.

(2) ابن حوقل: صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1979، ج1، ص37-38.

(3) بئر اريس بفتح الهمزة وكسر الراء، بئر أما مسجد قباء في حديقة الأشراف من بني الحسين بن علي بن ابي طالب، ويقال انها نسبت الى رجل من اليهود يقال له أريس، والاريس في لغة أهل الشام تعني الفلاح، ويذكر أن جماعة من الفقراء الخرازون ابتدعوا في عمارتها للاستزاده بماء الشرب ليفوزوا بثوابها. فيروز آبادي: المغام المطابية في معالم المرطابية، تحقيق: حمد الجاسر، منشورات دار اليمامة للبحث والنشر، الرياض، 1389هـ/ 1969م، ط1، ص25-28.

(4) بئر رومة بضم الراء وسكون الواو، وقيل رومة وهي بئر في عقيق المدينة وهي التي اشتراها عثمان بن عفان رضي الله عنه وتصدق بها. فيروز آبادي: المغام المطابية، ص40.

(5) بئر البضة بضم الباء وفتح الضاء، وهي بئر قريبة من البقيع على اليسار من مسجد قباء وموجوده في حديقة كبييرة محوطة. فيروز آبادي: المغام المطابية، ص30.

(6) عين الأزرق التي تسميها العامة العين الزرقاء وهي عين أقامها الخليفة مروان بن الحكم وتقع العين غرب مسجد قباء ويوجد بها حديقة نخيل وتعتبر العين واسعة محكمة البناء مياها عذبة. الفيروز آبادي: المغام المطابية، ص295-296.

(7) ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1977م، ج5، ص450.

(8) مر الظهران بفتح الميم وتشديد الراء، وهي أكبر أودية الحجاز وتقع شمال مكة المكرمة ويقال إنها موضع الذي نزل به الرسول صلى الله عليه وسلم عند صلحه مع قريش ويمر بهذا الوادي عيون كثيرة. القلقشندي: صحيح الأعيان في صناعة الإنشاء، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2010م، ط3، ج4، ص260؛ عاتق البلادي: معجم معالم الحجاز، دار مكة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، 1431هـ/ 2010م، ط2، ص1556-1557.

وترك الفلاحين البسطاء لقراهم وهجرها، ويعد ظهور الآفات الزراعية أيضاً أحد تلك الأسباب التي أدت إلى تدهور الزراعة كهجوم الفئران والجراد على المحاصيل الزراعية الذي نتج عنه ارتفاعاً في الأسعار تاركاً أثراً كبيراً على الكثير من عامة الناس. وقد ذكر الفلقشندي بعض المحاصيل التي تنمو في بلاد الحجاز بقوله "يزرع البر والشعير والذرة والسلت وجميعها تزرع على المطر وربما تزرع بعضها من ماء العيون"⁽¹⁾، أما عن الخضروات والفواكه التي تزرع في الحجاز، فأشار الفلقشندي بأنه يزرع فيها "البطيخ الأخضر والأصفر والقثاء والباذنجان والدباء والملوخية والفجل والكرات والبصل والثوم" أما الفواكه "العنب والموز والتفاح والسفرجل والليمون والرطب"⁽²⁾. ويقوم العمال المغاربة بدور كبير في عملية الزراعة والفلاحة في بلاد الحجاز، ويصفهم ابن جبير في رحلته "ومن أودية بقرب من البلد كعين سليمان وسواها، قد جلب الله إليها من المغاربة ذوي البصارة بالفلاحة والزراعة فأحدثوا فيها بساتين ومزارع، فكانوا أحد الأسباب في خصب هذه الجهات، وذلك بفضل الله عز وجل"⁽³⁾.

الرعي:

تعد حرفة الرعي من الحرف الأولى لسكان الحجاز وخاصة سكان البادية، وغالباً ما كانت تنشأ بينهم خلافات وحروب على الماء والعشب يستمر بعضها سنين طويلة⁽⁴⁾، وكانت حرفة الرعي من واجبات العبيد والفقراء من الرجال والنساء، ويأنف منها الأشراف وعلية القوم⁽⁵⁾، وكانت الثروة الحيوانية في الحجاز جُلها من الإبل والأغنام والأبقار والخيول⁽⁶⁾، والثروة الحيوانية هنا غير مملوكة لفئات موضوع الدراسة وإنما بالرعاية والرعي فقط دون امتلاك شيء منها، وتعتبر حرفة رعي الغنم مصدراً أساسياً من مصادر الرزق، فكان الاعتماد على أصوافها ولحومها⁽⁷⁾.

لقد تأثرت حياة الراعي في كثير من الظروف الاقتصادية، فكان سقوط المطر وتذبذبه يضر بمصادر الرعي، فقد أدى الجفاف في كثير من الأحيان إلى نقص الموارد ما جعل الراعي يتنقل بحثاً عن العشب والاستقرار⁽⁸⁾، لذلك نجد انتعاش هذه الحرفة في الأماكن التي ينبت بها الكلاء والشجيرات وبها وفرة في الماء⁽⁹⁾، وكانت مهمة الراعي العمل على حراسة القطيع ودرء الأخطار عنه⁽¹⁰⁾.

البوابون:

كانت مهنة البوابين إحدى الحرف الخاصة بالمهمشين في بلاد الحجاز في العصر المملوكي، فقد خصص السلطان الأشرف شعبان (764-778 هـ / 1363-1376 م) مبلغ ألفي درهم لبوابين الحرم المكي تقسم بينهم بالتسوية⁽¹¹⁾، وممن تولوا جمال الدين

(9) الفلقشندي: صبح الأعشى، ج4، ص247.

(1) الفلقشندي: صبح الأعشى، ج4، ص248.

(2) ابن جبير: رحلة ابن جبير، تحقيق: حسين نصار، دار مصر للطباعة، د. م، 1374 هـ/1955 م، ص101.

(3) جمال عامر: الحرف والصناعات اليدوية في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام، ص84.

(4) جمال عامر: الحرف والصناعات اليدوية في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام، ص86.

(5) أحمد الشريف: مكة والمدنية في الجاهلية وعهد الرسول، دار الفكر العربي، الإسكندرية، دت، ص238.

(6) العناقرة، الحياة الاقتصادية في الحجاز، ص189-190.

(7) جمال عامر: الحرف والصناعات اليدوية في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام، ص86-87.

(8) أحمد الشريف: مكة والمدنية، ص238؛ نادية العدوانى: وظائف علماء الحجاز ومهنتهم وحرفهم وأثرها في الحياة العامة خلال العصر المملوكي، ص82.

(9) جمال عامر: الحرف والصناعات اليدوية في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام، ص88.

(10) راشد القحطاني: أوقاف السلطان الأشرف شعبان، ص105.

بواب الزمامية أحد أبواب المسجد الحرام المتوفى سنة 867هـ/1462م⁽¹⁾، ورمضان بواب مدرسة الجمالية بمكة المتوفى سنة 868هـ/1463م⁽²⁾.

وحددت وثيقة وقف السلطان الأشرف شعبان أن يصرف لبوابين الحرم النبوي ألفي ومائتي درهم، وخصص السلطان الأشرف شعبان مبلغ ألف درهم لمسجد الخيف بمنى، ومنهما خمسمائة درهم كأجر لبواب يقيم بالمسجد يفتح بابه ويغلقه، ويقوم بتنظيفه وصيانته، ومنع من يتطرق إليه من أبواب التهم والفساد، كذلك خصص السلطان الأشرف شعبان بواباً للميضاة، وذلك من أجل المحافظة عليها حيث يقوم بفتح الباب وإغلاقه، ويصرف له ٧٢٠ درهما نقرة⁽³⁾ سنوياً، وحدد السلطان الأشرف شعبان وجود بواب للبيمارستان لينظم حركة الدخول والخروج منه وإليه، ويمنع أبواب الفساد من الاختباء به، وخصص له 360 درهما نقرة سنوياً بواقع ثلاثين درهما شهرياً⁽⁴⁾.

وأقام السلطان الأشرف شعبان بواباً على مسجد قباء ليقوم به، يفتح الباب ويغلقه، ويقوم بتنظيفه وصيانته، ومنع دخول أبواب الفساد إليه، وجعل له نظير هذا العمل مبلغ أربعمائة وثمانين درهماً سنوياً بواقع أربعين درهماً شهرياً⁽⁵⁾.

كما أمر السلطان الأشرف برسباني (825-841هـ/1422-1437م) سنة 830هـ/1426م بعزل البوابين القدامى وكانوا من الفقهاء، وأن يولى على أبواب الحرم بوابون ليس لهم حرفة ولا صناعة ولا شغل من الفقراء والمساكين، وقرر على كل باب بواب منهم، وألزمهم بملازمة باب الحرم والنوم عليه ليلاً ونهاراً، وألا يغيب عنه إلا لضرورة، وأن يتعهد البواب بالكنس والتنظيف والرش، ومنع الكلاب والجواري الحاملات للماء والحمال من الدخول إلى المسجد الحرام والمرور به لغير حاجة، ورسم السلطان لكل بواب عشرة أشرفية معلوماً كل عام يحمل لهم من أوقاف الحرمين الشريفين صحبة المسفر⁽⁶⁾.

الخدام:

ومن طوائف المهمشين أيضاً الخدام، فخصص السلطان الأشرف شعبان في حجة وقفه على الحرمين الشريفين أن يكون للحرم المكي خدام لسلم الكعبة الشريفة الذي يتوصل من عليه إلى فتح باب الكعبة الشريفة، مهمتهم تنظيف السلم والحفاظ عليه، وحدد لهم ثلاثمائة درهم نقرة في كل سنة، كما نص السلطان الأشرف شعبان في حجة الوقف على تعيين عشرين خادماً من الخدام البطالين من الخدمة والمقيمين بحرم النبي، واشترط على كل منهم أن يقوم بخدمة حجرته الشريفة ومسجده، وحدد مجموع أجورهم بخمسة آلاف درهم سنوياً بالتسوية بينهم بواقع مائتين وخمسين درهماً لكل منهم⁽⁷⁾.

(1) ابن فهد: إتحاف الوري، ج4، ص448؛ السخاوي: الضوء اللامع، ج11، ص86.

(2) ابن فهد: إتحاف الوري، ج4، ص456؛ السخاوي: الضوء اللامع، ج3، ص229.

(3) درهم نقرة: وهو أن يكون ثلثها من فضة وثلثها من نحاس أحمر، وتُطبع بدور الضرب بالسكة السلطانية على نحو ذلك، ويكون منها دراهم صحاح وقراضات مكسرة، والعبارة في وزنها بالدرهم وهو معتبر بأربعة وعشرين قيراطاً وقدر بست عشرة حبة من حبات الخروب، فتكون كل حبتين ثمن درهم وهي أربع حبات من حبات القمح المعتدل، والدرهم من الدينار نصف وخمسة الفلقشندى: صبح الاعشى، ج3، ص443، 466، 467؛ محمد دهمان:

معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، دار الفكر، دمشق، 1990م، ص74.

(4) راشد القحطاني: أوقاف السلطان الأشرف شعبان، ص110، 113، 116، 122.

(5) راشد القحطاني: أوقاف السلطان الأشرف شعبان، ص128 - 129.

(6) ابن فهد: إتحاف الوري، ج3، ص645 - 646.

(7) راشد القحطاني: أوقاف السلطان الأشرف شعبان، ص103، 122، وعن خدام الحجر النبوية من الطواشية راجع: مصطفى دويدار: الأمراء الطواشية، الأمراء الطواشية في العصرين الأيوبي والمملوكي الأول، دار العالم العربي، القاهرة، دت، صفحات متعددة.

ومن خدام الحرم محمد بن علي بن صلح المدني خادم ضريح حمزة عم النبي (1)، وأحمد بن محمد النفطي المدني كان أميناً على حواصل (2) الحرم النبوي وخدام الحرم (3)، واستقر فارس الخادم الرومي شيخ الخدام بالمدينة الشريفة بدلاً من ولي الدين بن قاسم، وتوجه من جهة البحر إلى ينبع ليسير منها إلى المدينة (4)، ومسور الشبلي، شيخ الخدام بالمدينة النبوية مات معزولا لعجزه (5)، ومقبل الرومي (6) شيخ الخدام بالمدينة انقطع بالمدينة، ثم ولي المشيخة بها حتى مات بها (7)، وكان عمر بن عبد العزيز بن بدر (8) أحد خدام المدينة (9).

ومنهم أيضاً سرور الحبشي قراقبا الحسني من خدام الحجرة النبوية الذي وصفته المصادر بأنه كان "خيراً وتعبد ويوصف بإيثاره بمعلومه في الخدمة وغيره لفقراء المدينة وأثنى على تصرفه في مدرسة سيده وأوقافها وفي غيرها كالحجازية المجاورة للجمالية" (10)، وصنل العز الخشقدمي الزمام أحد خدام المدينة الشريفة (11)، وشند الطواشي أحد خدام المدينة النبوية أصيب في الحريق الكائن بها سنة 886هـ/1486م (12)، وقاسم العلاء أبو الحسن شيخ الخدام بالحرم المدني المحمدي (13)، وعبد الرحمن خادم رباط بلجد وأحد فقراء عمر العرابي (14)، وإسماعيل بن رستم البيضاوي الزممي المؤذن بمكة، وله نظم مقبول ومدايح نبوية من غير اشتغال بالألة، وكان قليل الشر مشكور السيرة ملازماً لخدمة قبة العباس (15)، والشيخ نور الدين علي الشيرجي خادم قبة الوحي وجد مقتولا بطريق وادي مر سنة 868هـ/1463م (16)، وكان محمد بن الجبرتي خادم البيمارستان (17).

(2) السخاوي: الضوء اللامع، ج8، ص185.

(3) حواصل: مفردها حاصل، لفظة تدل على المخزن أو المستودع أو خزان مياه، ويبدو أنها تدل على مخزن به أشياء نفيسة للخوندات. خليل بن شاهين: زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، تصحيح بولس راويس، المطبعة الجمهورية، باريس، 1894م، ص122؛ عبد الرحيم غالب: موسوعة العمارة الإسلامية، دار جروس برس، بيروت، 1988م، ص124؛ محمد البقلي: التعريف بمصطلحات صبح الأعشى في صناعة الإنشا للقلقشندي، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2010م، ط3، ص111.

(4) السخاوي: الضوء اللامع، ج2، ص139.

(5) ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر، ج4، ص91.

(6) ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر، ج2، ص287.

(7) الأمير مقل الرومي: كان رئيساً للخدم، وعنده حشمة ورئاسة، تولى الزمامية في دولة الناصر فرج، وأنشأ عدة أملاك ودور وأوقفها على مدرسته التي أنشأها بخط البنادقانيين، وجعل بها جزانة عامرة بالكتب، وظل معظمها بالدولة حتى وفاته سنة 810هـ/1407م، وترك أموالاً كثيرة. السخاوي: الضوء اللامع، ج10، ص168؛ المقرئ: المقفي الكبير، تحقيق محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1991م، ج5، ص44.

(8) ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر، ج1، ص465.

(9) عمر بن عبد العزيز بن بدر: هو عمر بن عبد العزيز بن بدر سراج الدين السابق نسبة لسابق الدين أحد خدام المدينة ويعرف بابن بدر، نشأ بطيبة فقرأ القرآن واشتغل في حفظ المنهاج وغيره، وسمع على أبي الفرج المراغي وحضر دروس الشهاب الأبيطي والسيد الطباطبي وكان يقرأ فيسبعه وتدرج بالقاضي عبد القادر بن محمد بن يعقوب واختص بمشايع الحرم ونسبت إليه أشياء فسجنه الأشرف قايتباي مرة بعد أخرى إحداهما بالمقشرة بعد ضربه بالمقارع ثم خلص عليه أن لا يسار إلى المدينة إلا بإذن ولكن تكرر سفره للمدينة وغيرها، ثم شفع فيه وعاد إلى المدينة ولم يتحول عن طباعه وجاء بأثر ذلك مرسوم بالقبض عليه فاقتفى ثم توجه سرا ليصل القاهرة ترجياً لمساعدة الأمير شاهين له قبلغه الطاعون فرجع لمكة ودام بها من رمضان حتى حج ومات سنة 897هـ/1491م. السخاوي: الضوء اللامع، ج6، ص93.

(10) السخاوي: الضوء اللامع، ج6، ص93.

(11) السخاوي: الضوء اللامع، ج3، ص246.

(12) السخاوي: الضوء اللامع، ج3، ص322.

(13) السخاوي: الضوء اللامع، ج3، ص307.

(1) السخاوي: الضوء اللامع، ج5، ص275.

(2) السخاوي: الضوء اللامع، ج4، ص164.

(3) ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر، ج3، ص556.

(4) ابن فهد: إتحاف الوري، ج4، ص459؛ السخاوي: الضوء اللامع، ج5، ص320.

(5) ابن فهد: إتحاف الوري، ج4، ص573.

وخصصت حجة الوقف للسلطان الأشرف شعبان مبلغ 300 درهم لثلاثة أشخاص يتولون تنظيف الحرم المكي من الكريش والعقارب حتى لا يتأذى الحجاج، وعينت حجة الوقف شخصين يتوليان تنظيف ما بين الصفا والمروة بصفة مستمرة وقد خصص لهما مبلغ ألف درهم سنوياً تقسم بينهم بالتسوية أي بواقع 500 درهم لكل واحد منهما، وعين بمن يقوم بإدارة الساقية ومهمته سوق الجمل ومصالح تلك الساقية وجعل ما يصرف له في السنة 720 درهما نقرة، وعين السلطان الأشرف شعبان قوماً للميضاة وجعل راتبه في السنة 1800 درهما نقرة بواقع 90 درهما شهرياً، وحدد عمله في القيام بتنظيف الميضاة والمراحيض (1).

الفراشون:

تأتي مهنة الفراشين كإحدى المهن الشعبية في الحجاز، ومن أهم الأعمال التي يقوم بها المحافظة على نظافة الحرم الشريف، كما كان فراشوا الحرم يشاركون في غسل الكعبة المشرفة، وتساعد لهم بعض المهام بالإضافة إلى مهمتهم الأساسية، مثل مهمة رفع الأذان أو التكبير بأحد المقامات (2).

فالفراش على سبيل المثال يقوم بإصفاء القناديل، ويفتح الباب للمؤذن، ويكنس المسجد والروضة، والحجرة النبوية الشريفة، وكان عليه أيضاً كنس سطح الحرم الشريف وقبة النبي، وذلك بالمكانس المخصصة لهذا اليوم (3)، وكانوا يحددون يوم 17 من ذي القعدة من كل عام للكنيس، ويطلقون عليه يوم الكنيس، يحضر فيه قاضي المدينة ليشارك السادة الخدام وشيخهم في كنس الحرم النبوي، فكانوا يعتبرون هذا اليوم مثل يوم العيد عندهم وعند أهل المدينة أيضاً، ويلبسون فيه أحسن الملابس ويهتفون بعضهم بعضاً (4).

كما كانوا يشعلون البخور عقب إطفاء القناديل، ليتخلصوا من الرائحة الكريهة (5)، وكان هناك باب مخصص لهم في الضلع الشمالي من المسجد لإيقاد ثريات، وقناديل، ومصابيح الحجرة الشريفة (6).

وخصص السلطان الأشرف شعبان في حجة وقفه على الحرمين الشريفين على أن يكون للحرم المكي ثمانية فراشين يتناوبون على خدمة الحرم المكي ونظافته وتنظيف أروقته وأسطحه وكنس أبواب الحرم وما حولها على الدوام، وحدد لهم مبلغ ألفين وسبعمائة درهم نقرة توزع بينهم بالتسوية، أي أن راتب الفراش كان ثلاثمائة درهم سنوياً بواقع خمسة وعشرين درهماً شهرياً (7).

وحدد السلطان الأشرف شعبان على تعيين ثمانية من الفراشين والفراشات بالبيمارستان، وحدد عملهم من خلال حجة الوقف انه على كل واحد من الفراشين من الرجال والنساء أن يتعامل مع المرضى، ويقوم على خدمتهم في شربهم وأكلهم وتنظيفهم،

(6) راشد القحطاني: أوقاف السلطان الأشرف شعبان، ص 105-110.

(7) أحمد بدر شيني: أوقاف الحرمين الشريفين في العصر المملوكي دراسة تاريخية حضارية وثائقية من واقع دور أرشيف القاهرة، ص 290.

(8) الأنصاري: تحفة المحبين والأصحاب في معرفة ما للمدنيين من الإنساب، تحقيق: محمد العروسي المطوي، المكتبة العتيقة، تونس،

1390 هـ/1970 م، ط1، ص 55-56.

(9) النابلسي: الحقيقة والمجاز في الرحلة لبلاد الشام ومصر والحجاز، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 1986 م، ص 430؛ مصطفى دويدار: الأمراء الطواشية في العصرين الأيوبي والمملوكي الأول، ص 229.

(10) الأنصاري: تحفة المحبين، ص 56.

(1) سعاد ماهر: مساجد في السيرة النبوية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1987 م، ص 107.

(2) راشد القحطاني: أوقاف السلطان الأشرف شعبان، ص 103.

وملازمتهم على العادة، وساوى السلطان الأشرف شعبان في الأجر بين الرجال والنساء، فخصص لهم 2800 درهم نقرة يفرق بينهم بالتسوية نصفه للرجال والنصف الآخر للنساء⁽¹⁾.

وتشير إحدى الحوادث التي تدلل على مهنة الفراش أنه غرقت ثمانى أنفس من العجائز المجاورات والضعفاء اللواتي في المساطب في سيل القناديل بمكة، وأخرج العوام الرباع والمصاحف من المسجد الحرام ومعهم فراشين الحرم، واجتمع أهل الحرم والغلمان لتنظيفه وإزالة الطين وإخراج التراب والحجارة وإرجاعه كما كان⁽²⁾.

ويشار أنه نقم أهل مكة على الأمير بيسق سنة 804هـ/1401م لأنه أهان بعضهم، وأمر بضرب فراشين المسجد الحرام ضرباً مبرحاً دون ذنب بسبب حريقه وغيرهم من أهل مكة⁽³⁾.

ومن الإشارات الدالة على مهنة الفراش، في سنة 825هـ/1421م أنه في أثناء صلاة الصبح وقع مطر عظيم، فصلى الإمام الشافعي بالناس أمام دار الندوة بالجانب الشمالي للمسجد الحرام لتعذر الصلاة عليه بمقام إبراهيم وما يليه، فعندما انقضت صلاته للصبح حمل الفراش الشمع ليوصله للقبة المعدة لذلك بين سقاية العباس وبئر زمزم حيث كان الماء في صحن المسجد يعلوه قليلاً، فلم يتمكن الفراش من إيصال الشمع للقبة إلا بعسر، وكان بعض أهل السقاية بها، فدخل عليه الماء من بابها فخاف وخرج من السقاية ونجا بجهد⁽⁴⁾.

وكان للفراشين قبة، فيذكر أنه سنة 847هـ/1443م سقط من الكعبة الشريفة حجر من تحت الميزاب فنقل إلى قبة الفراشين، واستمر بها أياماً ثم أعيد إلى مكانه بالجص⁽⁵⁾.

وممن اشتغل بهذه المهنة على سبيل المثال "علي بن عمر بن علي البغدادي الأزجي" المتوفى سنة 663هـ/1264م⁽⁶⁾، و "أحمد بن عبد الله الشريفي المصري" نزيل مكة الفراش بالحرم الشريف⁽⁷⁾، و "أحمد بن عبد الله الدوري المكي" كان فراشاً بالحرم الشريف وله أمانة الشمع والزيت⁽⁸⁾، و "الشيخ علي بن أحمد بن فرج" شيخ الفراشين بالمسجد الحرام وكان أميناً على الزيت وشمعه⁽⁹⁾، و "أبو بكر بن علي بن يوسف الذروي الفراش"⁽¹⁰⁾، و "إبراهيم بن أحمد المصري" كان فراشاً بالحرم الشريف⁽¹¹⁾، و "علي بن محمد بن سند المصري" من المجاورين بمكة والفراش بالحرم الشريف⁽¹²⁾، و "سعد بن الجمال عبد الله المدني" ويعرف بابن النفطى شيخ المؤذنين والفراشين بالمدينة النبوية كأبيه الكازروني⁽¹³⁾.

(3) راشد القحطاني: أوقاف السلطان الأشرف شعبان، ص112، 113

(4) ابن فهد: إتحاف الوري، ج3، ص213-215 .

(5) ابن فهد: إتحاف الوري، ج3، ص428 .

(6) ابن فهد: إتحاف الوري، ج3، ص588 - 589 .

(7) ابن فهد: إتحاف الوري، ج4، ص220 .

(1) الفاسي: العقد الثمين، ج5، ص288 .

(2) الفاسي: العقد الثمين، ج3، ص47 .

(3) الفاسي: العقد الثمين، ج3، ص48 .

(4) ابن فهد: إتحاف الوري، ج4، ص204 ؛ السخاوي: الضوء اللامع، ج5، ص159 .

(5) الفاسي: العقد الثمين، ج6، ص269 .

(6) الفاسي: العقد الثمين، ج2، ص128 .

(7) الفاسي: العقد الثمين، ج5، ص296 .

(8) السخاوي: الضوء اللامع، ج3، ص247 .

والجدير بالذكر أن "محمد بن عبد العزيز المكي" شيخ الفراشين بالمسجد الحرام، تنازل له خاله "أحمد بن عبدالله الدوري" الفراش بالحرم الشريف قبل وفاته بقليل في سنة ١٤١٦ هـ/ ١٩٩٦ م فباشرها، ثم ولي وظيفة مشيخة الفراشين بالمسجد الحرام، وأمانة الزيت والشمع بعد موت نور الدين علي بن فرج (1).

وكذلك "محمد بن علي بن عبد الكريم" المصري نزيل مكة وشيخ الفراشين بها كان من سكان القاهرة وصوفية ببيروتها ثم ولي فراشة بالمسجد الحرام وكان يتردد لمكة من أجلها ويقوم بها أوقاتا ثم بأخرة كثرت إقامته بها وصار يتردد إلى القاهرة قليلا، وتمشيخ بأخرة على الفراشين (2).

ومن الفراشين أيضاً "عبد العزيز بن إسحاق بن الفراش" المتوفى بمكة (3)، "أحمد بن عبد الله الحيري المدني الشافعي" أحد الفراشين بالحرم المكي (4)، و "محمد بن محمد بن أحمد بن عكاش المكي" استقر شيخ المقرئين بمكة وكان فراشاً بالمسجد الحرام (5)، و "حمزة بن عبد الله العمري المدني الفراش" بالحرم النبوي ويعرف بالحجاز (6).

ومن الفراشين أيضاً "أحمد الدوري" شيخ الفراشين بمكة (7)، و "عفيف بن أحمد بن الصديق اليماني المدني الفراش" بها ممن سمع من السخاوي بالمدينة (8)، و "محمد بن عبد الله المدني" أحد الفراشين هو والده بالحرم المدني (9)، و "محمد بن علي بن صبيح المدني" أحد فراشيها (10) و "أحمد بن علي بن صبيح المدني" أحد فراشيها (11)، و "طلحة بن سعد بن بدر الدين المدني" كان أحد مؤذنيها وفراشيها ويعرف بابن النفط لكون أصله من نفطة (12)، و "علي بن محمد الشامي المدني" أحد فراشيها (13)، و "أحمد بن عبد الله الشهاب" المدني شيخ الفراشين والمداحين بحرهما (14).

(9) ابن فهد: إتحاف الوري، ج4، ص423 .
 (10) السخاوي: الضوء اللامع، ج8، ص191 .
 (11) السخاوي: الضوء اللامع، ج4، ص216 .
 (12) السخاوي: الضوء اللامع، ج1، ص362 .
 (13) السخاوي: الضوء اللامع، ج9، ص27 .
 (14) السخاوي: الضوء اللامع، ج3، ص163 .
 (1) السخاوي: الضوء اللامع، ج2، ص262 .
 (2) السخاوي: الضوء اللامع، ج5، ص149 .
 (3) السخاوي: الضوء اللامع، ج1، ص362 .
 (4) السخاوي: الضوء اللامع، ج8، ص185 .
 (5) السخاوي: الضوء اللامع، ج2، ص20 .
 (6) السخاوي: الضوء اللامع، ج4، ص9 .
 (7) السخاوي: الضوء اللامع، ج6، ص33 .
 (8) السخاوي: الضوء اللامع، ج1، ص371 .

ومن الأسماء التي عملت بمهنة الفراشة أيضاً " محمد بن الشمس العوفي المدني " (1) أحد فراشي المسجد النبوي وقرأ على السيد الطباطبي ولبس منه الخرقة وأذن له في الإقراء بالمسجد وممن قرأ عليه ابنه و "الشمس بن زين الدين بن القطان"، وكان قائماً بوظيفة الفراشة في المسجد النبوي وكذلك في مسجد قباء مع بوابته والأذان فيه وتكسبه بالشهادة وتميزه فيها(2).

ومنهم أيضاً "أبو الفتح محمد الشكلي المدني" أحد فراشيتها ومؤذنيها (3)، و "شيخ الفراشين بمكة أحمد الدوري"(4)، وشيخ الفراشين "محمد بن علي الكتبي" (5)، و "محمد بن علي بن اسماعيل الفراش" بالمسجد الحرام (6)، وشيخ الفراشين بالمسجد الحرام "نور الدين علي الطبري" وتولي مشيخة الفراشين بعده الشيخ "بيسق محمد بن أحمد" المتوفي سنة 865هـ/1460م (7)، وولي بعده الفراشة ابنه "عمر" (8)، وعزل "عمر بن بيسق" عن مشيخة الفراشين سنة 876هـ/1471م وأقيم بدلا عنه "أحمد عبد السلام الفيومي" (9).

وممن تولى هذه المهنة أيضاً "عبد العزيز بن اسحاق الفراش" (10)، و "أحمد بن حسن الرومي الفراش" ويعرف بالأقرب بالمسجد الحرام (11)، و "محمد بن أبي الفتح بن حسين الحلبي الفراش" بالمدينة النبوية ويعرف بالأقباعي (12)، و "شرف بن قاسم شرف الدين المدني المالكي" أحد الفراشين بالمدينة (13)، و "عمر بن أحمد المغربي المدني" (14) ويعرف بالنقطي أحد شهود الحرم وفراشي المسجد النبوي (15).

(9) محمد بن الشمس العوفي المدني: هو محمد بن محمد بن عبد الله الشمس العوفي المدني الشافعي ويعرف بالعوفي لكون والده تزوج فيهم ويقال له أيضا ابن المسكين وهو بها أشهر، ولد بالمدينة وحفظ القرآن وأربعي النووي والشاطبية والمنهاجين الفرعي والأصلي وجمع الجوامع وألفية النحو والتهذيب في المنطق للفتازاني، وعرض على جماعة وأخذ الفقه وغيره عن أبي الفرج الكازروني ولازم الشهاب الأبيشيبي والعروض فقرأ عليه جمع الجوامع ومنهاج البيضاوي وشفاء الغليل في علم الخليل بل قرأ عليه المنهاج الفرعي وأخذ أصول الفقه أيضا عن الكمال أمام الكاملية والعربية والصرف عن السيد علي العجمي شيخ الباسطية المدنية والمنطق وغيره عن أبي يزيد ولازم أحمد بن يونس المغربي في فنون وتلا بالسبع على علي الديروطي وابن شرف الدين الششتري وسمع على المحب المطري وأبي الفتح المراغي وأخيه أبي الفرج وأبي الفتح بن صالح وقرأ البخاري وغيره على خاله التاج وبرع في العربية والفرائض والحساب وشارك في الفقه وغيره وجمع في كل من ختم البخاري ومسلم والشافعا والمنه، ومات بالمدينة المنورة. السخاوي: **الضوء اللامع**، ج9، ص129 - 130.

(10) السخاوي: **الضوء اللامع**، ج9، ص129 - 130.

(11) السخاوي: **الضوء اللامع**، ج6، ص280.

(12) السخاوي: **الضوء اللامع**، ج11، ص176.

(13) ابن فهد: **إتحاف الوري**، ج3، ص592.

(14) ابن فهد: **إتحاف الوري**، ج4، ص160؛ السخاوي: **الضوء اللامع**، ج8، ص173.

(15) ابن فهد: **إتحاف الوري**، ج4، ص204، 205، 423؛ السخاوي: **الضوء اللامع**، ج5، ص165، ج6، ص321.

(16) ابن فهد: **إتحاف الوري**، ج4، ص423.

(17) ابن فهد: **إتحاف الوري**، ج4، ص540.

(1) ابن فهد: **إتحاف الوري**، ج4، ص435؛ السخاوي: **الضوء اللامع**، ج4، ص216.

(2) ابن فهد: **إتحاف الوري**، ج4، ص489؛ السخاوي: **الضوء اللامع**، ج1، ص280.

(3) السخاوي: **الضوء اللامع**، ج8، ص279.

(4) السخاوي: **الضوء اللامع**، ج3، ص299.

(5) عمر بن أحمد المغربي المدني: سمع على الزين المراغي في سنة خمس عشرة ثم قرأ الشفا على طاهر ابن جلال الخجندي وسمع على الجمال الكازروني والمحب المطري وغيرهما واختص بإبراهيم بن الجيعان وقتا وكان وجيها مرجوعا إليه بالمدينة في العوايد ونحوها لكبر سنه، مات في سنة 885هـ/1480م. السخاوي: **الضوء اللامع**، ج6، ص73.

(6) السخاوي: **الضوء اللامع**، ج6، ص73.

الوقاد:

كانت مهنة الوقاد إحدى أبرز المهن التي عمل فيها المهتمون، وكانت مهمتهم تقتضي وضع الزيت في القناديل والمصابيح التي تعلق في المسجد الحرام لكي تشتعل وتضيء جوانبه ليلاً، وكان للوقادين شيخ مسؤول عنهم، يُعرف بشيخ الوقادين ينظم أمورهم ويشرف على تنظيم أدوات الوقادة والإنارة حيث كان يقوم بمراقبة العاملين على الوقادة والإنارة وما يختص بحاصل المسجد الحرام من زيت وشمع وقناديل وغير ذلك وصرفها حسب الحاجة دون إسراف أو إهمال⁽¹⁾، وحدد السلطان الأشرف شعبان ما كان يصرف للوقاد بمكة المكرمة بمبلغ 500 درهم⁽²⁾، وكان منهم المؤذن "أحمد بن سالم بن ياقوت" المكي شيخ الفرائسين بالحرم الشريف وكان أميناً على شمع الحرم وزيته⁽³⁾، و"ياقوت بن عبد الله المكي" المعروف بالحزام وقاد المسجد الحرام، باشرها سنة 1354/755م وحمدت سيرته لأنه كان عارفاً لهذه المهنة⁽⁴⁾، و"أبو الحسن النويري المكي" كان يتولى أعمال إضاءة القناديل، وحصر حاصل زيت الحرم وشمعه، وهو المتولي لحساب من يقبض ذلك⁽⁵⁾، و"أحمد بن عبد الله الدوري المكي" الذي باشر أمانة الزيت والشمع سنوات قليلة⁽⁶⁾، وإسماعيل بن علي بن محمد البيضاوي الأصل المكي ولي أمانة حاصل الزيت بالمسجد الحرام⁽⁷⁾.

المؤذن:

ومن المهتمين من عملوا كمؤذنين مثل محمد بن عبد الله بن عبد السلام المكي قدم إلى مكة فاستقر وأصبح مؤذن المسجد الحرام⁽⁸⁾، وأحمد بن عبد السلام الكازروني المؤذن⁽⁹⁾ باشر الأذان بباب العمرة كآبيه⁽¹⁰⁾، ومحمد بن عمر السحولي المكي المؤذن⁽¹¹⁾. علاوة على الفرائسين الذين تولوا الأذان كما سبق ذكرهم في موضعه.

المادح:

أما عن فئة المداحين أو المنشدين، فقد اشتهروا بإعلان مديحهم للرسول صلى الله عليه وسلم، فكانوا يجوبون الشوارع والطرق رافعين أصواتهم غناءً ومديحاً لرسول الله، وينثر الناس عليهم اللوز والسكر والأزهار⁽¹²⁾، ومن طوائف المهتمين المداحين "عبد الله بن محمد بن بيان المدني" المادح⁽¹³⁾، و"محمد بن عبد الله المدني" المادح بحرماً، قدم مع أبيه المدينة وهو

(7) نوال الفائز: الأوضاع الاجتماعية للعلماء في مكة خلال العصر المملوكي (648 - 923 هـ / 1250 - 1517)، ص 64.

(8) راشد القحطاني: أوقاف السلطان الأشرف شعبان، ص 105.

(9) الفاسي: العقد الثمين، ج 2، ص 26.

(10) الفاسي: العقد الثمين، ج 6، ص 216.

(11) الفاسي: العقد الثمين، ج 6، ص 282.

(12) الفاسي: العقد الثمين، ج 3، ص 48؛ السخاوي: الضوء اللامع، ج 1، ص 312.

(13) نوال الفائز: الأوضاع الاجتماعية للعلماء، ص 65.

(1) ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر، ج 1، ص 121.

(2) أحمد بن عبد السلام الكازروني المؤذن: أحمد بن عبد السلام بن علي بن محمد بن عبد السلام بن أبي المعالي الشهاب الكازروني المؤذن، ولد بمكة وبها نشأ وسافر إلى اليمن والديار المصرية غير مرة وانقطع بمصر نحو عشرين سنة، حتى مات ببعض قرى الصعيد فإنه كان يسافر إليها لعمل مصالح صوفية سعيد السعداء لكونه منهم وأذن بالختانقاه أحياناً وكان حسن التأذين صبيته، توفي سنة 1414/817هـ. السخاوي: الضوء اللامع، ج 1، ص 347.

(3) السخاوي: الضوء اللامع، ج 1، ص 347.

(4) ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر، ج 2، ص 313.

(5) العياشي: الرحلة العياشية للبقاع الحجازية، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2011م، ط 1، ج 1، ص 299-300.

(6) السخاوي: الضوء اللامع، ج 5، ص 48.

ابن سنتين أو ثلاث فقرأ القرآن وصار مادح الحرم مع سكون وخير⁽¹⁾، و "أحمد بن محمد بن رمضان المكي الشاعر" المعروف بالحجازي أبو العباس وذكر بأنه "تكسب بمدح الأعيان"⁽²⁾.

الحراس والخفراء:

نجد من طوائف المهمشين من امتهن الحراسة، فقد حرص السلطان الأشرف شعبان على رعاية حارس مقبرة البقيع، وهي من مزارات المدينة المنورة، فخصص له مبلغ ثلاثمائة وستين درهماً سنوياً، واشترط عليه أن يكنس قبور الصحابة وأزواج النبي⁽³⁾، فأحمد بن صالح بن خلاسة الزواوي المغربي نزيل جامع الأزهر سمع على الشرف بن الكويك والولي العراقي وغيرهما، وجاور بالمدينة النبوية، وعمل فيها حارساً ببعض النخل، وكان المجد صالح الزواوي يجتمع معه هناك لوثوقه بخيره وفضله وكثرة عبادته، وتوفي سنة 855هـ/1451م⁽⁴⁾.

كما خصص السلطان الأشرف شعبان مبلغ خمسمائة درهم لمشايخ عين خليف مقابل خفارتهم الحجاج ذهاباً وإياباً، وخصص ألفي درهم لمشايخ حنين لحماية وسقاية الحجاج ذهاباً وإياباً، وقرر صرف مبلغ ألف درهم سنوياً لمشايخ زبيد مقابل خفارتهم على الحجاج وإن تعذر ذلك صرف المبلغ في وجوه البر والقربات، وقرر صرف مبلغ ألف درهم سنوياً لمن يخفر المشاة من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة ذهاباً وإياباً، ويصرف لصاحب بدر خمسمائة درهم سنوياً بشرط أن لا يمكن أحداً من اللصوص من الحجاج ويحميهم⁽⁵⁾.

مؤدب الأطفال:

ومن المهمشين من عملوا كمؤدبين للأولاد ومن أبرز هذه الأسماء "محمد بن أحمد الحجازي" الذي كان يؤدب الأطفال ويقراً القرآن في الأجوقة وله صوت حسن ونغمة شجية⁽⁶⁾، و "أحمد بن عمر المرشدي المكي" تكسب بإقراء الأبناء وبالعلم⁽⁷⁾، و "يحيى بن أحمد بن يحيى الزندوني" نزيل المدينة قدم المدينة ففطنها وتصدى فيها لإقراء الأبناء⁽⁸⁾، و "أحمد بن أبي بكر الشاذلي المقرئ" جاور وأقام بالمدينة وتكسب بإقراء الأطفال⁽⁹⁾، و "محمد بن إبراهيم المكي" نزيل الحرمين مؤدب الأبناء بمكة⁽¹⁰⁾.

أمين الحواصل:

كانت مهمة أمين الحواصل بالبيمارستان أنه يفرق الطعام والشراب على المرضى كل يوم، وكان أجره السنوي 360 درهم نقرة بواقع ثلاثين درهماً شهرياً⁽¹¹⁾، فكان محمد بن قاسم الماوردي أمين المركبات كالدرياق بالبيمارستان، ومات بمكة فجأة سنة 895هـ/1489م⁽¹²⁾.

(7) السخاوي: الضوء اللامع، ج8، ص77.

(8) ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر، ج4، ص56.

(9) راشد القحطاني: أوقاف السلطان الأشرف شعبان، ص128.

(10) السخاوي: الضوء اللامع، ج1، ص315 - 316.

(1) راشد القحطاني: أوقاف السلطان الأشرف شعبان، ص130 - 131.

(2) السخاوي: الضوء اللامع، ج6، ص305.

(3) السخاوي: الضوء اللامع، ج2، ص56.

(4) السخاوي: الضوء اللامع، ج10، ص222.

(5) السخاوي: الضوء اللامع، ج1، ص263.

(7) السخاوي: الضوء اللامع، ج1، ص170.

(8) راشد القحطاني: أوقاف السلطان الأشرف شعبان، ص113.

(9) السخاوي: الضوء اللامع، ج8، ص287.

حراس النعال:

من الوظائف الدنيا التي استحدثت في المدينة المنورة ولم يكن لها نظير في مكة المكرمة وظيفه حراس نعال المصلين وغيرهم على كل باب من أبواب المسجد النبوي الشريف، وقد حدد السلطان الأشرف شعبان أجورهم بثمانمائة درهم وحدد أجر كل منهم مئتي درهم سنوياً⁽¹⁾.

المبخر:

ومن طوائف المهمشين أيضاً المبخرين، فقد قرر السلطان الأشرف شعبان أن يصرف لمن يقوم بتبخير الكعبة المشرفة 600 درهم نفرة منها ما هو ثمن طيب وبخور لتطيب الكعبة الشريفة وأركانها وتحليقها، وتبخير من يحضر الطواف ما جملته مئتان واربعون درهم نفرة، واجرة من يقوم بذلك ثلاثمائة وستون درهم نفرة، وخصص السلطان الأشرف شعبان مبلغ خمسمائة درهم منها مئتا درهم ثمن طيب وبخور، وثلاثمائة درهم سنوياً أجرة المبخر الذي يبخر من يحضر الى الحرم النبوي⁽²⁾.

الوراق / الناسخ:

حفل العصر المملوكي بعدد كبير من الوراقين الذين عملوا في نسخ الكتب وتجليدها وتذهيبها، واتخذوا من الكتاب مادة لتجارتهن ومصدراً لكسبهم اليومي، وقد وجد الكثير من الفقراء من هذه المهنة سبيلاً لسد لقمة العيش وعدم الاحتياج للآخرين⁽³⁾. ومنهم محمد بن خالد الجويني الحموي الكتبي من المجاورين لبيت الله الحرام، سمع منه بعض طلبة العلم، كان شيخاً كبير القدر مهاباً، وكان يتاجر بالكتب⁽⁴⁾، وأحمد بن الحسين المكي ويعرف بابن العليف تكسب بالنساخته بل وشهد في عمارة المسجد النبوي⁽⁵⁾، وأحمد بن أبي الخير محمد بن حسين القسطلاني جود الكتاب وصار يكتب الوثائق⁽⁶⁾، ومحمد بن أبي بكر الذروي المكي وكان ذا خط جيد، كتب الكثير من الوثائق والمجلدات⁽⁷⁾، وعلي بن أحمد المكي كان ينسخ بالأجرة⁽⁸⁾.

كما كان من هؤلاء المهمشين الذين عملوا بمهن الوراق والنسخ علي بن حجاج الوراق بمكة⁽⁹⁾، وحسين بن علي الكلبشاوي الناسخ⁽¹⁰⁾ كتب بخطه الصحيح الكثير بالأجرة ومن ذلك عدة نسخ من تصانيف السخاوي ومنه القول البديع⁽¹¹⁾، ومحمد بن

(10) راشد القحطاني: أوقاف السلطان الأشرف شعبان، ص 123

(11) راشد القحطاني: أوقاف السلطان الأشرف شعبان، ص 104، 123

(2) عبد العزيز السندي: الوراقون وأثرهم في الحياة العلمية في مكة خلال العصر المملوكي (دراسة تاريخية حضارية)، عالم الكتب، مج 25، ع 1-2،

1424 هـ / 2003 م، ص 20-21

(3) الفاسي: العقد الثمين، ج 2، ص 170

(4) السخاوي: الضوء اللامع، ج 1، ص 290

(5) الفاسي: العقد الثمين، ج 3، ص 87 .

(6) الفاسي: العقد الثمين، ج 3، ص 87 .

(7) السخاوي: الضوء اللامع، ج 5، ص 155 .

(8) السخاوي: الضوء اللامع، ج 5، ص 210 .

(9) حسين بن علي الكلبشاوي الناسخ: هو حسين بن علي بن حسين البدر الكلبشاوي الغمري الفقيه الناسخ الشافعي، كان صالحاً خيراً سليم الفطرة اشتغل بالفقه والعربية والفرائض، وأذن بالبساطة وغيرها وأدب الأولاد وقتاً، وحج مرارا آخرها بعد أن فجع بموت ولدين له في الطاعون فحج ورجع للزيارة النبوية ماشياً، وكانت منيته بين الحرمين فيها قبل الوصول عن بضع وخمسين. السخاوي: الضوء اللامع، ج 3، ص 149 .

(10) السخاوي: الضوء اللامع، ج 3، ص 149 .

سليمان الكفيري كان ينسخ ويشهد بمكة⁽¹⁾. وتكسب أبو بكر بن عبد الله الشاعر⁽²⁾ بالتجارة، وجلس بجانوت بمكة في الموسم وتكسب بالشهادة والنسخ⁽³⁾، وعبد العزيز بن علي بن فرحون المدني ويعرف بالمجلد وهي حرفته وحرفة أبيه⁽⁴⁾.

العطار:

كان لمهنة العطارة دور هام في حياة الناس في تلك الفترة، فالعطار كان يقوم بدور الطبيب، والصيدلي وبائع العطور، فقد كانت وصفة الطبيب من الأعشاب والعقاقير التي يحتاجها المريض، ومواد العطارة تدخل أيضاً في إعداد الطعام مثل الزعفران والكرم⁽⁵⁾.

ومن العطارين الذين نقلت المصادر أسمائهم "علي بن أبي بكر بن عمران المكي العطار"⁽⁶⁾، و"أحمد بن محمد الدمنهوري العطار" بمكة⁽⁷⁾، و"عبد الرحمن بن البوابة العطار" المتوفي سنة 860هـ/1455م⁽⁸⁾، و"شيخ العطارين" سعد بن أحمد المعروف بسعد الور" المتوفي سنة 862هـ/1457م⁽⁹⁾، و"نجم الدين سليمان بن خليل العسقلاني المكي" كان مثابراً على خدمة العلم وأهله إلى أن عطل دكانه بالعطارين⁽¹⁰⁾، و"إبراهيم الحجازي العطار"⁽¹¹⁾، و"محمد بن علي الريفي المصري العطار" بمكة سنة 868هـ/1463م⁽¹²⁾، و"محمد بن علي المغربي العطار" بمكة المتوفي سنة 873هـ/1468م⁽¹³⁾، و"إبراهيم بن محمد بن اسماعيل الحلواني" ووالده كان عطاراً⁽¹⁴⁾، و"علي بن محمد المكي العطار" المتوفي سنة 880هـ/1475م⁽¹⁵⁾، و"عبد الرحمن بن الجمال محمد الحجازي العطار بمكة"⁽¹⁶⁾، و"علي المحلي المكي" العطار بباب السلام والسكن برباط العباس،

(11) ابن حجي: تاريخ ابن حجي، تحقيق: أبو يحيى عبد الله الكندري، دار ابن حزم، بيروت، 2003م، ج2، ص564.
(12) هو أبو بكر بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن عبد الله تقي الدين بن الجمال دمشقي القاهري الشافعي الشاعر الوفاي ويعرف بابن البديري ويكنى أيضاً أبا التقا ولد بدمشق ونشأ بها وتكرر قدومه مع أبيه للقاهرة ثم قطنها مدة واشتغل بالبلدين قليلاً وكتب عن خلق من الشيوخ فمن دونهم وتعانى الشعر ومدح وهجا وطراح وانتمى لبني الشحنة، وجاور بالمدينة وكتب فيها من تصانيف الشريف السهودي وغيره ثم جاور بمكة وامتدح قضاة مكة وغيرهم تغل بمكة مدة وسافر منها في البحر فوصل إلى الطور ثم غزة فأدركه أجله هناك. السخاوي: الضوء اللامع، ج11، ص41 - 42.

(13) السخاوي: الضوء اللامع، ج11، ص41 - 42.

(14) السخاوي: الضوء اللامع، ج4، ص224.

(1) محمد محمود العناقرة: الحياة الاقتصادية في الحجاز، ص188 والتي تليها.

(2) ابن فهد: إتحاف الوري، ج3، ص417؛ الفاسي: العقد الثمين، ج6، ص147.

(3) ابن فهد: إتحاف الوري، ج3، ص511.

(4) ابن فهد: إتحاف الوري، ج4، ص362؛ السخاوي: الضوء اللامع، ج4، ص162.

(5) ابن فهد: إتحاف الوري، ج4، ص392؛ السخاوي: الضوء اللامع، ج3، ص247.

(6) الفاسي: العقد الثمين، ج3، ص235 - 236.

(7) ابن فهد: إتحاف الوري، ج4، ص444.

(8) ابن فهد: إتحاف الوري، ج4، ص458؛ السخاوي: الضوء اللامع، ج8، ص183.

(9) ابن فهد: إتحاف الوري، ج4، ص501.

(10) ابن فهد: إتحاف الوري، ج4، ص571؛ السخاوي: الضوء اللامع، ج1، ص130.

(11) ابن فهد: إتحاف الوري، ج4، ص597؛ السخاوي: الضوء اللامع، ج6، ص13.

(12) السخاوي: الضوء اللامع، ج4، ص121.

مات بمكة سنة 882هـ/1477م⁽¹⁾، و"علي المغربي العطار" بمكة، و"إبراهيم بن محمد الحجازي العطار"⁽²⁾، و"محمد بن أحمد الحجازي الشريفي العطار" بمكة وشيخ المقرئين⁽³⁾، و"بركات بن سلامة المكي كان عطاراً بباب السلام"⁽⁴⁾. ومنهم أيضاً "حسين بن الزين بن محمد بن محمد بن محمد القيسي القسطلاني" المكي كان عطاراً⁽⁵⁾، و"محمد بن بركات المكي العطار" بمكة⁽⁶⁾، و"علي بن الشمس محمد المكي العطار" بمكة وجدة⁽⁷⁾، و"سعد بن أحمد بن منصور العطار" بمكة ويعرف بسعد الوركاني شيخ العطارين بباب السلام⁽⁸⁾، و"عبد الرحمن بن الجمال محمد الحجازي الشريفي العطار" بمكة⁽⁹⁾، و"عبد اللطيف الشامي العطار" بمكة وقد وصفت المصادر التاريخية وضعيته المهنية بأنه "كان يوجد عنده من الأعشاب والعطر ما ينفرد به، ولذا يجتهد في التغالي في بيعها بغلظة"⁽¹⁰⁾.

وكان إبراهيم بن عميرة السهمي يتكسب ببيع الحنا والملح ونحو ذلك بالمسعى⁽¹¹⁾، وكان محمد بن علي بن عثمان الأصبهاني المكي له دكان بسوق العطارين عند بني شيبية⁽¹²⁾، وعبد الكريم بن محمد الدميري المكي كان عطاراً مشهوراً بالبضائع الحسنة⁽¹³⁾، وعبد الله بن محمد بن محمد بن علي الأصبهاني اشتغل بالتجارة وكان قليل الحظ بها⁽¹⁴⁾.

صغار التجار والباعة:

من طوائف المهتمين صغار التجار والباعة والأسواق، وربما يكفي أن نذكر كلمة "صغار التجار" لندلل على الوضعية الاجتماعية والتصنيف الطبقي لهذه الفئة من المهتمين، فكان يفد بعض البدو إلى أسواق مكة ليشاركوا في عملية البيع والشراء التي كانت تتم عن طريق المقايضة، فيبيعون ما لديهم من غلال وأجبان وبسط ويشتررون ما يلزمهم من السلع المختلفة⁽¹⁵⁾. ومن صغار التجار ابن الحكيم وكان تاجر بمكة سيء المعاملة مسيكا مزري الهيئة⁽¹⁶⁾، وعبد الرحمن بن أبي بكر بن ظهيرة كان يتكسب بالتجارة بمكة⁽¹⁷⁾، وداود بن أحمد بن سبأ كان سقطياً يتكسب ببيع السفت بسوق النداء ضعيف الحال⁽¹⁸⁾.

(13) السخاوي: الضوء اللامع، ج6، ص62 .

(14) السخاوي: الضوء اللامع، ج1، ص170 .

(15) السخاوي: الضوء اللامع، ج7، ص15 .

(16) السخاوي: الضوء اللامع، ج3، ص14 .

(17) الفاسي: العقد الثمين، ج3، ص428 ؛ ابن فهد: اتحاف الوري، ج3، ص240 .

(18) السخاوي: الضوء اللامع، ج7، ص153 .

(19) السخاوي: الضوء اللامع، ج5، ص287 .

(1) السخاوي: الضوء اللامع، ج3، ص247 .

(2) السخاوي: الضوء اللامع، ج4، ص121 .

(3) السخاوي: الضوء اللامع، ج4، ص341 .

(4) الفاسي: العقد الثمين، ج3، ص150 - 151 .

(5) الفاسي: العقد الثمين، ج2، ص275 .

(6) نوال الفائز: الأوضاع الاجتماعية للعلماء، ص70 .

(7) الفاسي: العقد الثمين، ج4، ص424 .

(8) هيام علي: الحج إلى الحجاز في العصر المملوكي، رسالة دكتوراه، جامعة القديس يوسف، معهد الآداب الشرقية، بيروت، 2010 م، ص318 .

(9) السخاوي: الضوء اللامع، ج11، ص244 .

(10) السخاوي: الضوء اللامع، ج4، ص64 .

(11) السخاوي: الضوء اللامع، ج3، ص210 .

وعوض بن حسب الله بن مهاوش المكي التمار بها، ممن سمع من السخاوي بمكة وكان ذا ملاءة ثم افتقر⁽¹⁾، وتكسب حسن الضاني بسوق النساء من سوق الحاجب على طريقة حسنة⁽²⁾.
ومنهم من عمل كخراز علي بن يوسف المعروف بالمطرز فتعرف ابنته أم الحسن ببنت المطرز⁽³⁾، والشيخ سعد الحضرمي الخراز⁽⁴⁾.
ومن صغار التجار أيضاً محمد بن أحمد بن يعقوب المكي الحناط⁽⁵⁾، ومحمد بن علي المجنون الكيال بمكة⁽⁶⁾، ومنهم من عمل بالعلافة كعيسى بن موسى العلاف⁽⁷⁾، ومحمد بن مبارك بن حسن العلاف⁽⁸⁾.

الدلال:

ومن المهمشين من عملوا بمهنة الدلال أيضاً، ومن أمثلة ذلك علي بن حجاج الحريري الدلال بمكة⁽⁹⁾، وعيسى بن عوضة الدلال بمكة⁽¹⁰⁾، ومحمد بن أحمد التركماني الدلال⁽¹¹⁾، ومحمد المكي الحريري دلال الكتب⁽¹²⁾، أحمد بن محمد الحريري دلال الكتب⁽¹³⁾، وأحمد بن فرح المكي الشهير بالأقباعي تكسب بالسمسرة⁽¹⁴⁾.
وأشدد نور الدين علي بن محمد المنادي الدلال بمكة سنة 841هـ/1437م عندما غرق المسجد الحرام:

أتى بمكة سيل قد أضر بها فأغرق الناس ليلاً وهو يعشاهم
فعد هذا لسان الحال أخبرنا هذا جزأهم مما خطاياهم⁽¹⁵⁾.

الحلاقة:

ومن الحرف الشعبية السائدة أيضاً في الحجاز الحلاقة، وكان من يزاول هذه الحرفة يسمى في العصر المملوكي باسم المزين، وفي حقيقة الأمر كان هناك اختلاط ما بين الحلاق والمزين، فيذكر السبكي من الناس من يأتي للمزين ويثقب أذنيه ويضع بها حلقتين، وكثيراً ما يقصده من السفلة والرعاع⁽¹⁶⁾، وهناك من يقول بأن المزين من يقوم بختان الأطفال، والحلاق من كان يتولى بقص الشعر وتهذيب الشوارب والدقون⁽¹⁷⁾، وكان المحتسب يراقب مزاولي هذه المهنة للتأكد من النظافة العامة،

- (12) السخاوي: الضوء اللامع، ج6، ص149 .
(13) السخاوي: الضوء اللامع، ج3، ص133 .
(14) ابن فهد: إتحاف الوري، ج4، ص573 .
(15) ابن فهد: إتحاف الوري، ج4، ص585؛ السخاوي: الضوء اللامع، ج3، ص254 .
(1) ابن فهد: إتحاف الوري، ج4، ص414 .
(2) السخاوي: الضوء اللامع، ج11، ص179 .
(3) ابن فهد: إتحاف الوري، ج4، ص422؛ السخاوي: الضوء اللامع، ج6، ص158 .
(4) ابن فهد: إتحاف الوري، ج4، ص387؛ السخاوي: الضوء اللامع، ج8، ص295 .
(5) السخاوي: الضوء اللامع، ج5، ص210 .
(6) السخاوي: الضوء اللامع، ج6، ص159 .
(7) ابن فهد: إتحاف الوري، ج4، ص154؛ السخاوي: الضوء اللامع، ج3، ص133 .
(8) ابن فهد: إتحاف الوري، ج4، ص302؛ السخاوي: الضوء اللامع، ج10، ص120 .
(9) ابن فهد: إتحاف الوري، ج4، ص362؛ السخاوي: الضوء اللامع، ج2، ص219 .
(10) السخاوي: الضوء اللامع، ج1، ص362 .
(11) ابن فهد: إتحاف الوري، ج4، ص70 .
(12) السبكي: معيد النعم ومبيد النقم، ص103 .
(13) قاسم عبده قاسم، الأسواق المصرية في عصر سلاطين المماليك، ص56.

على أن تكون أمواسه نظيفة وجديدة وحادة⁽¹⁾، وكان الحلاق يستعمل المقص والمرآه لكي يرى الشخص المراد حلقه⁽²⁾. ومن المهمشين من عمل بالحلاقة "كأحمد بن محمد الكيلاني المكي" ويعرف بشفتراش وهي بالفارسية الحلاق⁽³⁾، و "محمد بن الطبري المكي"⁽⁴⁾ حلق بالمسجد الحرام وأخذ عنه بعض الغرباء ونحوهم من المبتدئين⁽⁵⁾.

البزاز:

وبعض المهمشين عملوا كتجار صغار في تجارة البز⁽⁶⁾، ومنهم "عوض بن موسى المكي" البزاز الذي تعرض للعقوبة لإخفائه بعض الأموال الخاصة بالتجار المجاورين بمكة⁽⁷⁾، وعوض بن موسى المكي البزاز ثم ترك وسافر لسواكن ولبلاد اليمن للتكسب، ثم ترك أيضا وصار يتسبب بمكة⁽⁸⁾، و "حسن بن الزكي المكي"⁽⁹⁾ العطار البزاز بقيسارية دار الإمارة منها⁽¹⁰⁾، و "أحمد بن مسعود المدني" نزيل مكة والذي وصفته المصادر أيضا بأنه كان "ساكناً خيراً" يتكسب بقيسارية دار الإمارة⁽¹¹⁾، و "كرد مير البصري" البزاز بمكة وجدة⁽¹²⁾، و "محمد بن يعقوب المكي البزاز"⁽¹³⁾، ولاطونة البزاز مات بمكة سنة 1420/هـ م⁽¹⁴⁾، وصلاح البزاز مات بمكة ليلة عيد الفطر سنة 1423/هـ م⁽¹⁵⁾، و "أحمد بن عمر البلبيسي البزاز" وكان من خيار التجار بمكة ثقة ودينا وأمانة وصدق لهجة⁽¹⁶⁾، و "محمد بن مفتاح بن فطيس البزاز"⁽¹⁷⁾.

(14) ابن الحاج: المدخل، مكتبة دار التراث، القاهرة، د.ت.ج.3، ص291.

(1) جمال عامر: الحرف والصناعات اليدوية قبل الإسلام، ص102

(2) السخاوي: الضوء اللامع، ج2، ص70

(3) محمد بن الطبري المكي: هو محمد بن أحمد بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الجلال أبو السعادات بن المحب الطبري الأصل المكي الشافعي، ولد بمكة ونشأ فحفظ القرآن والعمدة وأربعي النووي ومنهجه ومختصر ابن الحاجب الأصلي وعقائد جمع الجوامع ومنظومة النزاهة للبرهان الزمزمي والشاطبيتين والكافية والي التمييز من منظومة أبي القسم النويري وتصريف الزنجاني ومختصر الشافية قسارى الصرف وعرض على جماعة كالزبن بن عياش وأبي الفتح المراغي وجود القرآن وقرأ عليه الشاطبية بتمامها عرضا وكذا قرأها بحثا مع ختمة للسبعة على الشهاب الشوانطي وأخذ الفقه في الابتداء عن التقي الأرجاني وأبي البركات الهيثمي والزبن قاسم الزفتاوي وإمام الكاملية وتكرر أخذه للمنهاج استمرت الإمامة بينه وبين أبيه ثم أضيف إليهما غيره من إخوته، مع ملازمته درس عالم الحجاز البرهاني بن ظهيرة في الفقه والتفسير. السخاوي: الضوء اللامع، ج9، ص268.

(4) السخاوي: الضوء اللامع، ج9، ص268.

(5) البز: وهو الثياب أو متاع البيت من الثياب ونحوها وبنائعه البزاز وحرفته البزازة. الفيروز آبادي: القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، 2005م، ج2، ص164-165؛ حسن الباشا: الفنون الإسلامية، ج1، ص301؛ محاسن الوقاد: الطبقات الشعبية في القاهرة المملوكية، ص49، هامش99.

(6) ابن فهد: إتحاف الوري، ج4، ص114.

(7) السخاوي: الضوء اللامع، ج6، ص149.

(8) حسن بن الزكي: هو حسن بن علي بن الزكي محمد بن موسى بن مزاج ويعرف بابن الزكي وسمع علي الفخر بن النويري وابن الصفي الطبري والسراج الدمنهوري والتاج ابن بنت أبي سعد والشهاب الهكاري والنور الهمداني والعز بن جماعة في آخرين كالقطب محمد بن محمد بن المكرم سمع عليه جزء الخرقى ومجالس من أمالي التنوخي، وكان خيرا عطارا بمكة، مات سنة 812هـ/1409م ودفن بالمعلاة. السخاوي: الضوء اللامع، ج3، ص116.

(9) السخاوي: الضوء اللامع، ج3، ص116.

(10) السخاوي: الضوء اللامع، ج2، ص226.

(11) السخاوي: الضوء اللامع، ج6، ص227.

(12) السخاوي: الضوء اللامع، ج10، ص87.

(13) السخاوي: الضوء اللامع، ج11، ص179.

(14) ابن فهد: إتحاف الوري، ج3، ص618؛ السخاوي: الضوء اللامع، ج11، ص162.

(15) السخاوي: الضوء اللامع، ج2، ص56.

(16) السخاوي: الضوء اللامع، ج11، ص265.

مهن شعبية أخرى:

ظهرت في بلاد الحجاز العديد من المهن الشعبية التي عمل بها المهمشين مثل الخياط ومن المهمشين الخياطين "أبو بكر بن زين الدين بن اسحاق الخياط" (1)، و "مبارك بن غيثرا الخياط" (2)، و "رايح بن علي الخياط" (3)، و "محمد الشيرازي" المعلم الخياط بمكة (4)، و "موسى المغربي" الخياط (5). ومن الحرف الشعبية أيضا **الغسال** أو **الغسالون** وهم الذين يغسلون الثياب، ووجدت لهم دكاكين ينشرون غسيلهم على أبوابها ويخبطونها على أحجار يضعونها تحت أبواب الدكاكين إلى جانب الحائط (6). وكان عثمان الخلاطي فقير صالح يخدم الفقراء ويتولى غسيل ثيابهم (7).

وهناك حرف أخرى تم النظر إليها نظرة طبقية ووصفت بأنها حرف رذيلة أو دنيئة لمن يتولاها على سبيل المثال **المكارية** (8)، ومن الحرف التي مارسها أفقر الطبقات من المهمشين حرفة **الجماليين والحماريين**، وهو الذي يمتلك حمارا أو بغلا أو جملا لنقل المسافرين أو البضائع وكرء الدواب ليكسب الرزق، وكان الحمارة ينقلون البضائع بسرعة تفوق الجمالة (9)، ومن الحرف الأخرى التي امتنها المهمشين وأفقر الطبقات حرفة **الأساكفة**، وهي حرفة صانع النعال أو الأحذية ويقال أيضاً الإسكافي، بالإضافة إلى حرفة **الجباد** أو **الجبادين**، وهم رافعين الدلو من الآبار، ومن الحوادث التي حصلت بينهما عام 893هـ/ 1488 م في عصر يوم الثلاثاء تمازح أحد الجبادين على بئر زمزم وهو عبد الرحمن المغربي مع شخص يمتن حرفة الإسكافي وهما على حافة بئر زمزم فسقطا في البئر، وقد مات عبد الرحمن المغربي وطلع الآخر سالماً (10).

فضلاً عن مهن شعبية أخرى مثل حرفة **القشاشين** أو **القشاش** وهو من يلتقط النفاية من هنا وهناك، ففي حوادث عام 895هـ/ 1490م جاء مطر قوي ذهب به السيل حوائج القشاشين وبدكهم أمام البيوت التي من جهة جبل أبي قبيس، ومن ضمنهم القشاشي الضريير الشهير بحذية أخذه السيل معه إلى أسفل مكة فوجد ببركة الماجن ميتاً (11)، ومن الحرف أيضاً غاسل الأموات وحافر القبور أو مايسمى بـ(عمال الجنائز) المتخصصين في نقل الموتى ودفنهم (12).

(1) ابن فهد: **إتحاف الوري**، ج4، ص451؛ السخاوي: **الضوء اللامع**، ج11، ص98.

(2) ابن فهد: **إتحاف الوري**، ج4، ص393؛ السخاوي: **الضوء اللامع**، ج6، ص238.

(3) ابن فهد: **إتحاف الوري**، ج4، ص288؛ السخاوي: **الضوء اللامع**، ج3، ص233.

(4) السخاوي: **الضوء اللامع**، ج10، ص123.

(5) السخاوي: **الضوء اللامع**، ج10، ص193.

(6) ابن فهد: **إتحاف الوري**، ج3، ص529.

(7) عمر ابن فهد: **الدر الكمين بذيل العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين**، تحقيق: د. عبد الملك بن عبد الله بن دهب، دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1421هـ/2000م، ج2، ص967.

(8) من الجدير بالذكر فقد وُصفت المكارية أنها من أمهن المهن في العصر المملوكي فيذكر السبكي "أن كثيراً من المكارية لايعجبه أن يكراري إلا الفاجرات من النساء، والمغاني منهن، لمغالاتهن في الكراء، فإنهن يعطين من الأجرة فوق مايعطية غيرهن فتغره الدنيا" انظر: السبكي: **معيد النعم ومبيد النقم**، ص108، وينقل العياشي أن بعض أهل الحجاز كانوا يتحصلون على أجرة لنقل أمتعة الحجاج على الدواب من حمير أو جمال، فمواكب الحجاج التي كانت تصل عن طريق البحر إلى جدة كانت توجر الحمير والجمال بين جدة ومكة، وكان المسافرون يكثررون الحمير للركوب، ولا يذهب صاحب الدابة معها، فإذا ذهب المكنرى إلى المحمل الذي يذهب إليه أرسل الحمارة ولا عليه منه فلا يأخذه أحد إلا ربه في ذلك البلد أو نائبه، وكان النائب يكرى الدابة ويقبض الكراء أى الثمن ويحاسب صاحب الدابة. انظر: العياشي: **الرحلة العياشيه للبقاع الحجازية**، ج1، ص361.

(9) عبد المعطي سمس: **المنظور الإجتماعي والاقتصادي للحرف والصناعات بمكة قبيل البعثة من خلال كتاب الفاكهي**، مجلة كلية التربية للعلوم، جامعة بابل، العدد 26، 2016م، ص85.

(10) عز ابن فهد: **بلوغ القرى**، ج1، ص522.

(11) عز ابن فهد: **بلوغ القرى**، ج1، ص612.

(12) النويري: **نهاية الأرب في فنون الأدب**، تحقيق: عبدالمجيد ترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى 2004م، ج30، ص134.

الأسواق الشعبية (1):

ارتبطت المهن الشعبية بأسواق شعبية استهدفت قطاعات المهشين والفقراء، ومنها سوق "الحراج"، وهو السوق الذي كانت تباع فيه الأشياء القديمة، والتي سبق استعمالها كأدوات المنزلية وغيرها، ومن الممكن التمييز بين هذه الأسواق التي يرتادها الفقراء وبين الأخرى التي ترتادها الطبقات الثرية، فنجد سوق البنط الذي يعتبر مركزاً للسيارة تباع به أعلى أنواع السمك والتمر الأصفر وأنواع سبح اليسر والنقل وغير ذلك، الأمر الذي يوضح حالة الفرقة المجتمعية الطبقة حتى في ارتياد الأسواق (2)، كما كانت الأسواق الشعبية مناسبة لشغل المهشين، فنجد على سبيل المثال، سوق الليل الذي كان به احتياجات الناس، والذي لا تنقطع فيه حركة الناس من جميع الفئات، فترى الحمالون وهم يحملون على جمالهم، والسقاؤون يسقون الناس، والخدامون يقدمون خدماتهم، والحطابون يحملون الحطب، فكانت الحركة التجارية في هذه السوق لا تهدأ ليلاً ولا نهاراً (3).

وارتباطاً بهذا السياق لدينا نماذج أخرى للأسواق الشعبية منها ما عرف باسم سوق الحطابين يقع في شمال المدينة المنورة، وقد مارس فيه الحطابون مهنتهم من الوافدين، وخاصة الفقراء منهم ممن لا يتقن مهنة أو حرفة غيرها (4).

وبالإضافة إلى ما سبق، فقد كان لقدم التجار في موسم الحج أثراً إيجابياً في انتعاش الأسواق، فعلى سبيل المثال كان ركب الحج الشامي يأتي للمدينة المنورة، وفي أثناء إقامتهم بالمدينة نُصبت الأسواق واتسعت الأرزاق وقُسمت الصدقات وكثرت الانفاقات (5)، وبالتالي كانت فئات المهشين المستفيد الأكبر من هذه المناسبات التجارية الموسمية.

3. الخاتمة وأبرز نتائج البحث:

- يتضح مما سبق أن المهشين في الحجاز في العصر المملوكي امتنوا العديد من المهن رغم كونها هامشية تميزت بالهشاشة وقدرتها الاقتصادية الضعيفة إلا أنها كانت عماد خفي من أعمدة المجتمع، ومظهر من مظاهر حيويته وكياناً اقتصادياً مهماً فبدونهم لا يكون هناك مستهلك، وبذلك تنعدم التجارة وينعكس ذلك على الحالة الاقتصادية بشكل مباشر أو غير مباشر.
- اتضح أن العوام والمهشين استطاعوا مواجهة الواقع الاجتماعي والاقتصادي من خلال اقتصاد هامشي شكل لهم مورداً اقتصادياً حياتياً حماهم من شظف الحياة إلى حد ما.
- تميزت شريحة أصحاب المهن في طبقة المهشين بعدم اعتمادهم على الصدقات أو الهبات بل اعتمدوا على الكسب حتى ولو بأقل الموارد الممكنة، ولكن ما قدموه من حرف شعبية كانت عاملاً أساسياً من عوامل نشاط المجتمع وتنوعه وخصوصيته خلال العصر المملوكي.

(3) هناك أسواق أخرى رغم كونها أسواق غير شعبية إلا أنها كانت أسواق لصيقة الصلة بإحدى الفئات الشعبية ونقصد بها الرقيق، فكان التجار يأتون بالرقيق الذين يرغون في بيعه، وكانوا يجلسون رقيقهم ساعة عرضهم للبيع على ذلك ثم تبدأ عملية المساومة على سعر كل فرد على حدة. انظر محمد لبيب البنتوني: الرحلة الحجازية، المطبعة الجمالية، مصر، 1329 هـ، ط2، ص62.

(4) محمد لبيب البنتوني: الرحلة الحجازية، ص61

(5) محمد لبيب البنتوني: الرحلة الحجازية، ص62 والتي تليها.

(6) محمد جمعه: الحسبة على البيئة بمصر وبلاد الحرمين الشريفين عصر سلاطين المماليك، ص202؛ عبد الرحمن المديرس: المدينة المنورة في العصر المملوكي، ص101.

(7) العياشي: رحلة العياشية، ج1، ص300.

2.3. التوصيات ومقترحات البحث:

- 1- ضرورة اهتمام الجامعات والمراكز البحثية بدراسة التاريخ الاجتماعي.
- 2- إعادة قراءة التاريخ بما يتماشى مع التاريخ الجديد وفق رؤية اجتماعية وثقافية وذهنية وشعبية ليتسنى فهم حياة وأعمال وأفكار الطبقات العامة في المجتمع.

4. قائمة المصادر والمراجع

1.4. المصادر العربية المطبوعة:

- ابن الأخوة: محمد بن محمد بن أحمد بن أبي زيد بن الأخوة (ت729هـ/1328م) معالم القرية في أحكام الحسبة، مكتبة المتنبي، القاهرة، [د.ت].
- ابن إياس: زين العابدين محمد بن أحمد (ت928هـ/1522م). بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى زيادة، ط3، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2008م.
- ابن بطوطة: محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي (ت771هـ / 1396م). تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، المطبعة الأزهرية، القاهرة، ط1، 1928م.
- ابن تغري بردي: جمال الدين يوسف (ت874هـ/1469م) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، طبعة دار الكتب، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة، (د.ت).
- المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق محمد أمين، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط2، 2011م.
- ابن جبير: محمد بن أحمد بن جبير الكنايني الأندلسي (ت614هـ/1217م) رحلة ابن جبير، تحقيق: حسين نصار، دار مصر للطباعة، د. م، 1374 هـ-1955م
- الجزيري: عبد القادر بن محمد الحنبلي (ت977هـ/1570م) الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة، دار الكتب العلمية (د.ت).
- الجوهري: إسماعيل بن حماد الجوهري (ت393هـ / 1002م) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط2، 1979م.
- ابن خلدون: عبدالرحمن بن محمد (ت806هـ/1406م) المقدمة، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر للطباعة والتوزيع، دار الفكر العربي، بيروت، د.ت.
- ابن الحاج: أبو عبدالله محمد بن محمد بن محمد العبدري (ت737هـ / 1336م). المدخل، مكتبة دار التراث، القاهرة، د.ت.
- ابن حجر العسقلاني: شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد (ت852هـ / 1448م). الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، دار الجيل، بيروت، 1993م.
- أنباء الغمر بأنباء العمر، تحقيق حسن حبشي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، 2011م.
- ابن حجي: أبي العباس أحمد بن حجي السعدي (ت816هـ / 1413 م) تاريخ ابن حجي، تحقيق: أبو يحيى عبد الله الكندري، دار ابن حزم، بيروت، 2003م.

- الحموي: شهاب الدين ياقوت (ت 625هـ / 1227م). معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1977م.
- ابن حوقل: أبي القاسم بن حوقل النصيبي (ت بعد 366هـ / 977م). صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1979.
- خليل بن شاهين: غرس الدين خليل بن شاهين الظاهري (ت 873هـ / 1468م). زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، تصحيح بولس راويس، المطبعة الجمهورية، باريس، 1894م.
- الرازي: زين الدين أبو عبد الله محمد (ت 666هـ / 1267م). مختار الصحاح، مكتبة لبنان، د.م، 1986هـ.
- السبكي: تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي (ت 771هـ / 1369م). معيد النعم ومبيد النقم، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط1، 1407هـ/1986م.
- السخاوي: محمد بن عبد الرحمن (ت 902هـ/1428م). الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار الجيل، بيروت، 1992م.
- وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام، تحقيق بشار عواد معروف وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1995م.
- الشافعي: عبد القادر أحمد بن محمد بن فرج (ت 1010هـ). السلاح والعدة في تاريخ بندر جدة، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، مصر د.ت.
- ابن شاهين الحنفي: زين الدين عبد الباسط بن خليل بن شاهين (ت 920هـ / 1514م). نيل الأمل في ذيل الدول، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، بيروت، 2002م.
- الصباغ: محمد بن أحمد بن سالم بن محمد المالكي المكي (ت 1321هـ). تحصيل المرام في أخبار البيت الحرام والمشاعر العظام ومكة والحرم وولاتها الفخام، تحقيق: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، مكتبة الأسد، مكة المكرمة، ط1، 2004م.
- الصيرفي: علي بن داود (ت 900هـ/1150م). نزهة النفوس والأبدان، طرابلس، 1974 م.
- العياشي: عبد الله بن محمد (ت 1090هـ). الرحلة العياشية للبقاع الحجازية، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2011م.
- الفاصي: محمد بن أحمد بن علي (ت 832هـ/1428م). العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق: العلمية، محمد حامد الفقي، فؤاد سيد، مؤسسة الرسالة، 1986م.
- شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام. مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 2007 م.
- الفراهيدي: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد (ت 170هـ / 786م). العين، ترتيب: د. عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1424هـ/2003م.
- ابن فهد: عز الدين عبد العزيز بن عمر محمد بن فهد (ت 922هـ / 1516م). غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام، تحقيق فهم محمد شلتوت، مكة المكرمة، (د.ت).
- بلوغ القرى في ذيل اتحاف الورى بأخبار أم القرى، تحقيق: صلاح الدين بن خليل إبراهيم، عبد الرحمن بن حسين أبو الخيور، دار القاهرة، القاهرة، 1425هـ/2005م.

- ابن فهد: النجم عمر بن فهد (ت 885هـ/1480م). إتحاف الوري بأخبار أم القرى، تحقيق فهد محمد شلتوت، جامعة أم القرى، السعودية مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط1، 1403م.
- الدر الكمين بنذيل العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق: د. عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1421هـ/2000م
- الفيروز آبادي: مجد الدين أبي طاهر محمد بن يعقوب (ت 817هـ / 1414م). القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، 2005 م.
- المغامم المطابة في معالم المرطابة، تحقيق: حمد الجاسر، منشورات دار اليمامة للبحث والنشر، الرياض، ط1، 1389هـ/1969م.
- القلقشندي: شهاب الدين أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي (ت 821هـ / 1418م). صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ط3، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2010م.
- المقريزي: تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي (ت 845هـ / 1441م). السلوك لمعرفة دول الملوك، ج1، ج2، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط2، 2007م.
- السلوك لمعرفة دول الملوك، ج3، ج4، تحقيق محمد مصطفى زيادة، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط3، 2006م.
- المقفي الكبير، تحقيق محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1991م.
- النايلسي: عبد الغنى إسماعيل (ت 1143هـ). الحقيقة والمجاز في الرحلة لبلاد الشام ومصر والحجاز، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 1986م.
- الأنصاري: عبد الرحمن بن عبد الكريم المدني (ت 1195هـ). تحفة المحبين والاصحاب في معرفة ما للمدنيين من الانساب، تحقيق: محمد العروسي المطوي، المكتبة العتيقة، تونس، 1390هـ/1970م.
- النويري: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت 733هـ / 1332م). نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: عبد المجيد ترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2004م.
- اليافعي: أبو محمد عبد الله بن أسعد (ت 768هـ / 1366م). مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

2.4. المراجع:

- إبراهيم أنيس: معجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، د.م، ط4، 1435هـ/2004م.
- إبراهيم علي طرخان: النظم الإقطاعية في الشرق الأوسط في العصور الوسطى، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1968م.
- أحمد السباعي: تاريخ مكة، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1419هـ/1999م.
- أحمد الشريف: مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول، دار الفكر العربي، الإسكندرية، د.ت.
- أحمد العمري: الصنائع والمهن في نجد والحجاز في صدر الإسلام والعصر الأموي، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط1، 1433هـ/2012م.

- جمال عامر: الحرف والصناعات اليدوية في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام، رسالة ماجستير غير منشورة، المعهد العالي لحضارات الشرق الأدنى القديم، جامعة الزقازيق، 2005م.
- حسن الباشا: الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، دار النهضة العربية، القاهرة، 1966م.
- راشد القحطاني: أوقاف السلطان الأشرف شعبان، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض 1414هـ/1994م.
- سعاد ماهر: مساجد في السيرة النبوية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1987م.
- عائق البلادي: معجم معالم الحجاز، دار مكة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ط2، 1431هـ/2010م.
- عبد الرحمن المديرس: المدينة المنورة في العصر المملوكي، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، 1422هـ/2001م.
- عبد الرحيم غالب: موسوعة العمارة الإسلامية، دار جروس برس، بيروت، 1988م.
- قاسم عبده قاسم: الأسواق المصرية في عصر سلاطين المماليك، عين للدراسات والبحوث، القاهرة، 2014م.
- لويس معلوف: المنجد في اللغة والأدب والعلوم، الطبعة الكاثوليكية، بيروت، ط19، د.ت.
- محاسن الوقاد: الطبقات الشعبية في القاهرة المملوكية، سلسلة تاريخ المصريين 152، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1999م.
- محمد أحمد دهمان: معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، دار الفكر، دمشق، 1990م.
- محمد جمعة موسى: الحسبة على البيئة بمصر وبلاد الحرمين الشريفين عصر سلاطين المماليك، دار أمجد للنشر والتوزيع، عمان، 2017م.
- محمد قنديل البقلي: التعريف بمصطلحات صبح الأعشى في صناعة الإنشا للقلقشندي، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط3، 2010م.
- محمد أليبيب البيتوني: الرحلة الحجازية، المطبعة الجمالية، مصر، ط2، 1329هـ.
- محمد محمود العناقرة: الحياة الاقتصادية في الحجاز في عصر سلاطين المماليك، الهيئة العامة للكتاب، الأردن، جامعة اليرموك، 2015 م.
- محمود إسماعيل: المهمشون في التاريخ الإسلامي، دار رؤية، القاهرة، 2004م.
- مصطفى دويدار: الأمراء الطواشية في العصرين الأيوبي والمملوكي الأول، دار العالم العربي، القاهرة، د.ت.
- 3.4. الدراسات والبحوث:**
- سماح علي العمري: المجتمع والاقتصاد في الحجاز في العهد العثماني الثاني، مجلة القلزم للدراسات التاريخية والحضارية، العدد6، 1442هـ/2021م.
- شريفة منديل: حرف العلماء ومهنتهم في مكة المكرمة خلال العصر المملوكي، مجلة العلوم العربية والإنسانية، جامعة القصيم، مج8، عدد4، 2015م.
- عبد المعطي مسمم: المنظور الاجتماعي والاقتصادي للحرف والصناعات بمكة قبيل البعثة من خلال كتاب الفاكهي، مجلة كلية التربية للعلوم، جامعة بابل، العدد 26، 2016م.

عواطف محمد يوسف نواب: بعض الجوانب الحضارية في مكة المكرمة منذ القرن الرابع عشر الهجري حتى وقتنا الحاضر دراسة تحليلية، الدرعية مج9، عدد34،35، 2006م.

نافذ سويد: الحرفيون ودورهم التاريخي في تطور المدينة العربية الإسلامية، بحث منشور في مجلة التراث العربي - اتحاد الكتاب العرب، دمشق، العدد 76 - السنة 19، تموز - يوليو 1999 / ربيع الأول 1420 هـ .

4.4. الرسائل العلمية:

أحمد بدرشيني: أوقاف الحرمين الشريفين في العصر المملوكي دراسة تاريخية حضارية وثائقية من واقع دور أرشيف القاهرة، رسالة دكتوراه كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، 1421 هـ / 2001 م.

سعدية الزهراني: الفئات الشعبية في بلاد الشام خلال العصر المملوكي (648 - 923 هـ / 1250 - 1517م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، 1439 هـ / 2017م.

نادية العدوانى: وظائف علماء الحجاز ومهنتهم وحرفهم وأثرها في الحياة العامة خلال العصر المملوكي (648 - 923 هـ / 1250 - 1517م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، 1441 هـ / 2020م.

نوال بنت صالح الفائز: الأوضاع الاجتماعية للعلماء في مكة خلال العصر المملوكي (648 - 923 هـ / 1250 - 1517م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القصيم، 1437 هـ.

هيام علي: الحج إلى الحجاز في العصر المملوكي، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة القديس يوسف، معهد الآداب الشرقية، بيروت، 2010م.

Doi: doi.org/10.52133/ijrsp.v5.55.6